روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

رياح الخطر

113

د. نبيل فاروق

Looloo

www.helmelarab.net



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - اختطاف ..

سعل عالم الذرّة (ميخائيل استروتيسكى) ثلاث مرات فى عنف ، وهو يجلس أمام حجرة رئيس هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية فى (تل أبيب) ، فرفعت سكرتيرة الرئيس عينيها إليه فى تأنيب صارم ، جعله يلتقط منديله من جيبه فى سرعة ، مغمغمًا فى شىء غير قليل من الحرج :

- معذرة .

رمقته السكرتيرة المتعجرفة بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن تعود إلى عملها ، وتتجاهل أمره تمامًا ، فاحتقن وجهه بضع لحظات ، فى مزيج من الحنق والحرج ، وحاول أن يلوذ بالصمت ، إلا أنه وجد نفسه يسألها ، فى لهجة بدت أشبه بالضراعة :

- سيّدتى .. متى سألتقى بالسيّد (دزرائيلى) ؟

أجابته السكرتيرة فى صرامة ، دون أن ترفع عينيها عن أوراقها :

- بعد قليل .

كان من الواضح أنها لا ترغب فى إضاعة دقيقة واحدة للرد عليه ، وأن جوابها المختصر يطالبه بالعودة إلى الصمت والانتظار ، إلا أنه لم يفعل ما أرادته منه ، وإنما قال بشىء من العناد :

ـ ولكننى هنا منذ التاسعة ، حسب الموعد المتفق عليه ، والساعة الآن العاشرة وسبع دقائق ، و ...

قاطعته فى صرامة أكثر :

ـ أدون (فيكتور دزرائيلى) مشغول .

قال (استروتيسكى) ، وقد تزايدت نبرة العناد فى صوته على نحو ملحوظ :

ـ ولكن هناك موعد سابق .

رفعت عينيها إليه هذه المرة فى غضب واضح ، وهى تقول فى صرامة :

ـ أدون (دزرائيلى) مشغول بأمور مهمة ، وسيلتقى بك فور أن يفرغ منها .

قال بعناد أكثر :

ـ وماذا عن الموعد السابق ؟! المفترض من رجل فى مثل مكانته أن يحافظ على دقة مواعيده ويحترمها .

ألقت السكرتيرة قلمها على الأوراق فى عنف ، وكأنها تعلن ضجرها وحنقها ، ثم قالت فى حدة :

ـ اسمع يا سيِّد (استروتيسكى) .. أدون (دزرائيلى) لن يمكنه مقابلتك ، قبل أن يفرغ من أعماله .. هل ترغب فى الانتظار ، أم أنك تفضّل الانصراف ، والعودة فى يوم آخر ؟

صمت خبير الطاقة الذرية بضع لحظات ، وانفرجت شفتاه ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، ثم لم يلبث أن أطبقهما ، وتراجع فى مقعده ، وتمتم فى خفوت :

ـ سأنتظر .

أطلقت السكرتيرة زفرة عصبية ، وعادت تلتقط قلمها ، وتواصل عملها ، فى حين لاذ هو بالصمت لدقيقة ، قبل أن يغمغم فى سخط :

ـ من المؤكد أننى كنت شديد الحماقة ، عندما تركت عملى فى (الاتحاد السوفيتى) ، وهاجرت إلى هنا .. لقد صدقت دعاياتكم عن العالم المثالى والأحلام الوردية .

انعقد حاجباها فى ضيق ، وقالت فى عنف :

ـ لم يعد هناك وجود للاتحاد السوفيتى .

تنهَّد فى مرارة واضحة ، وقال :

- للأسف .

كان آخر ما ترغب فيه ، هو الدخول فى حوار سياسى طويل بلا معنى ، لذا فقد مطَّت شفتيها فى امتعاض ، وواصلت عملها فى صمت ، إلا أنه استطرد فى حنق :

- على الأقل كنا نحظى بالاحترام والاهتمام هناك ، وكان كبار المسئولين يرحبون بزيارتنا لهم ، و ...

كادت السكرتيرة تنفجر فى وجهه ، لولا أن ارتفع صوت رئيسها ، من جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول بصوته الأجش :

- فليتفضَّل أدون (استروتيسكى) بالدخول .

تنهَّدت فى ارتياح ، وأشارت بيدها إلى باب حجرة مكتب رئيسها ، قائلة :

- تفضَّل .

نهض (استروتيسكى) بسرعة ، واندفع إلى حجرة مكتب رئيس هيئة الطاقة الذرية فى لهفة ، ناسيًا ما تقتضيه أبسط قواعد اللياقة ، من الطرق على الباب أولاً ، واستقبله (دزرائيلى) فى هدوء .

أقرب إلى البرود ، وأشار إليه بالجلوس ، ثم شبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسأله :

- لقد طلبت مقابلتى لأمرمهم يا أدون (استروتيسكى). أليس كذلك ؟

أومأ العالم برأسه إيجابًا ، وهو يزدرد لعابه فى صمت ، فعاد (دزرائيلى) يسأله بنفس الهدوء البارد :

- حسن .. ماذا لديك ؟

بذل الرجل جهدًا حقيقيًا ، ليقول بصوت مبحوح :

- عمل .. أريد عملاً .

ارتفع حاجبا رئيس هيئة الطاقة الذرية فى دهشة ، وهو يكرِّر :

- تريد عملاً ؟!

اندفع (استروتيسكى) يقول فى توتر :

- أنت تعلم أننى واحد من أفضل علماء الذرة فى العالم ، وكانت لى مكانة رفيعة فى وطنى ، ولكننى ، ومنذ هجرتى إلى (إسرائيل) ، لم أحظ بأى عمل مناسب .. لقد ألحقونى بوظيفة مدرِّس رياضيات .. هل تصدِّق هذا ؟! عالم من علماء الطاقة الذرية ، يقضى عمره فى تدريس مادة الرياضيات !! إنها مهزلة !

كان يتوقع شيئًا ـ ولو ضئيلاً ـ من التجاوب ؛ لذا فقد أدهشه وأحنقه أن يقول رئيس الهيئة ببرود متناه :

ـ وماذا فى هذا ؟! تدريس الرياضيات مهنة شريفة ومريحة .

حدّق الرجل فى وجهه بدهشة ، وصرخ :

ـ وماذا عن دراساتى ، وخبراتى السابقة ، وقدرتى على إفادة الدولة ؟!

مطّ رئيس الهيئة شفتيه ، وهزّ كتفيه فى شىء من اللامبالاة ، قائلا :

ـ وماذا عن التكدُّس الذى نعانيه هنا أيضًا ؟! إننا ندفع الرواتب لثلاثة أضعاف عدد علماء الطاقة الذرية ، الذين نحتاج إليهم ، حتى إننى أتساءل : ألم يعد هناك ما يدرسه أحد فى هذا العصر ، سوى الطاقة الذرية ؟! ما الذى كانوا يفعلونه بكم فى (الاتحاد السوفيتى) السابق ؟! هل كان كل شىء يدار بالطاقة الذرية ، حتى يكون لديهم كل هذا الكم الهائل من علمائها ؟!

صدم حديثه (استروتيسكي) فى عنف ، فتراجع فى مقعده بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ لست أصدّق ما أسمعه .

أجابه رئيس الهيئة فى قسوة :

ـ بل صدّقه ، ودعنى أعيده على مسامعك ، على نحو أكثر مباشرة ووضوحًا .. لسنا بحاجة إلى أى علماء جدد فى هذا المجال .. باختصار .. ليست لدينا أيّة وظائف خالية .

اتسعت عينا (استروتيسكى) فى ارتياع ، ثم لم يلبث أن نهض من مقعده ، قائلاً فى حدة :

ـ فهمت .

غادر المبنى وبركان من الغضب والسخط يشتعل فى أعماقه ، ويجعله يلعن ذلك اليوم ، الذى ترك فيه وطنه ، وجاء إلى (إسرائيل) ، وتمنى لو تملك قنبلة ذرية واحدة(*) ؛ لينسف بها هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية ، برئيسها المغرور وسكرتيرته المتغطرسة ، و ...

(*) القنبلة الذرية : سلاح حربى رهيب ، يعتمد على التفاعل المتسلسل للمواد المشعة ، الناتج عن الانشطار النووى ، كمصدر للطاقة ، وتنحصر فكرتها الأساسية فى استخدام كتلتين معزولتين من مادة قابلة للانشطار ، مثل اليورانيوم ٢٣٥ ، أو البلوتونيوم ٢٣٩ ، كل منهما أقل من الكتلة الحرجة ، ومجموعهما معًا أكبر منها ، وعندما يندمجان ، يحدث انفجار هائل رهيب ، مدمر لكل مظاهر الحياة .

« (ميخائيل استروتيسكى) ... أليس كذلك ؟! »

صكَّ السؤال مسامعه ، بصوت غليظ أجش ، يأتى من خلفه مباشرة ، فاستدار فى دهشة ، محدِّقًا فى وجه صاحبه ، الذى ابتسم ابتسامة واسعة ، برزت معها أسنانه الصفراء القذرة ، قبل أن يستطرد :

ـ كم يسعدنى لقاؤك .

حاول (استروتيسكى) أن يقول شيئًا ، ولكن صاحبِ الأسنان الصفراء أطلق فى وجهه رذاذًا كثيفًا ، من بخاخة صغيرة ، ولم يكد يستنشقه ، حتى أظلمت الدنيا أمام عينيه ، ومادت به الأرض ..

ثم انهار فاقد الوعى ..

تمامًا ..

* * *

ارتفع هدير مروحة الهليوكوبتر الصغيرة ، وهى تنطلق على ارتفاع منخفض ، وسط جبال ومرتفعات (بوليفيا)(*) ، فى طريقها إلى بقعة بعينها ، بالقرب

(*) (بوليفيا) : جمهورية غرب (أمريكا الجنوبية) ، عاصمتها (سوكريه) ، ومدينتها (لاباز) هى ، المركز السياسى والمالى والتجارى للبلاد ، سطحها متضرّس ، وبين سلاسل الجبال والوديان توجد هضبة مرتفعة السطح ، بها أهم مراكز السكان والصناعة والنقل ، وهى غنية بالمعادن والمناجم ، مثل القصدير ، والزنك ، والفضة ، والبزموت ، والنحاس ، والذهب .

من (فيلا مونتز) ، بعد غروب الشمس بساعة واحدة ، وغمغم قائدها فى شىء من العصبية ، محدثًا راكبها الوحيد ، الذى يتشبَّث بصندوق معدنى ثقيل :

ـ لست أدرى لماذا الإصرار على الطيران المنخفض ، بعد غروب الشمس ؟! هذا يعرِّضنا لمخاطر شتى .

زمجر راكب الهليوكوبتر ، وهو يقول فى خشونة :

ـ اصمت يا رجل وواصل طريقك .. لقد تقاضيت مبلغًا باهظًا ؛ لتلعب هذا الدور المحدود ، بشرط عدم إلقاء أية أسئلة .

تمتم الطيار :

ـ ولكننا ندور فى المكان منذ أكثر من خمس دقائق بلا هدف ، ولو كشفت إحدى محطات الرادار أمرنا ، سيكون من العسير جدًّا أن نفسِّر موقفنا هذا .. المفترض أن تكون لنا وجهة محدودة ، أو مكان هبوط معروف على الأقل .

أجابه الراكب فى صرامة خشنة :

ـ سيتحدَّد موضع الهبوط مع الإشارة .

سأله الطيار فى دهشة :

ـ الإشارة ؟! أية إشارة ؟!

انعقد حاجبا الراكب بشدة ، قبل أن يشير بيده فى اهتمام إلى يسار الهليوكوبتر، قائلاً فى انفعال واضح :

ـ تلك هناك .

استدار الطيَّار بسرعة إلى حيث يشير الراكب ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، عندما وقع بصره على دائرة من الضوء ، تتألق فى وضوح وسط الجبال ، وقبل أن تنفرج شفتاه بالسؤال ، تابع الراكب بسرعة :

ـ هيا .. اتجه إلى هناك يا رجل ، فرجال السنيورا لن يجازفوا بإبقائها مشتعلة لفترة طويلة .

وعلى الرغم من دهشته ، أدار الطيَّار الهليوكوبتر ، وانطلق بها نحو الدائرة المشتعلة ، وهبط فى منتصفها تمامًا ، وهو يلمح لأوَّل مرة ، على ضوء النيران المتراقصة ، سيارة كبيرة ، من طراز (لاندروفر) ، الصالح للسير فى الطرق الوعرة ، مع ثلاثة من الرجال ، يقفون بالقرب منها ، ولم تكد الهليوكوبتر تستقر وسط دائرة النيران ، حتى أسرع رجلان من الثلاثة بإطفاء النيران ، ثم هرعا إلى الهليوكوبتر ، وتلقفا الصندوق المعدنى من الرجل ، الذى قال بصوت مرتفع :

ـ احترسا جيدًا ، فما فيه أثمن من الذهب .

انعقد حاجبا الرجل الثالث ، الذى يقف بالقرب من السيارة ، عند سماعه هذه العبارة ، ومطَّ شفتيه فى شىء من الامتعاض ، ولكنه ظلَّ واقفًا فى مكانه ، والآخران ينقلان الصندوق المعدنى إلى السيارة ، فى حين اتجه راكب الهليوكوبتر نحوه ، وهو يقول فى حماس :

ـ (لاماس) يا صديقى .. كيف حالك ؟! قل لى : هل استقرَّت السنيورا فى مقرّها الجديد ؟!

بدا (لاماس) صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

ـ الكلمات تتساقط على نحو مقزّز من فمك الكبير يا رجل .

قهقه راكب الهليوكوبتر بصوت مرتفع ، وأخرج من جيبه سيجارة ، دسّها بين شفتيه ، وهو يقول :

ـ لا تزعج نفسك بهذه الأمور أكثر من اللازم يا صديقى .. دع الإفراط فى الحذر للجبناء والمتخاذلين .

انتزع (لاماس) السيجارة من بين شفتيه ، بحركة حادة عنيفة ، وألقاها أرضًا ؛ ليسحقها بقدمه فى قوة ، قائلاً :

- يبدو أنك نسيت تعليمات السنيورا الصارمة ، فى هذا الشأن ، فالسرية المطلقة حتمية ، وتحت أية ظروف .

قال الرجل فى حدة :

- وما شأن السرية المطلقة بسيجارتى ؟!

أجابه (لاماس) فى صرامة شديدة :

- أنسيت أن ضوء السيجارة المشتعلة يمكن رؤيته ، من على بعد أميال عديدة ؟!(*)

هتف الرجل فى سخط :

- حقًا ؟! وماذا عن دائرة النار ، التى قادتنا إلى هنا ؟!

انعقد حاجبا (لاماس) فى شدة ، وهو يقول :

- إنك تخلط الأمور ببعضها .

ثم لوَّح بكفه فى حدة ، قبل أن يضيف :

- ولكن دعنا من هذا الآن ، وأخبرنى : هل البضاعة التى أحضرتها مضمونة ؟

نسى الرجل غضبه ، فور سماعه السؤال ، وأجاب فى حماس :

(*) حقيقة علمية .

- ومن أفضل الأنواع يا صديقى ؟! لن تجد فى العالم كله بلوتونيوم مخصَّب كهذا .. إنها كمية لابأس بها من البلوتونيوم ٢٣٩(*) .

ازداد انعقاد حاجبى (لاماس) ، وألقى نظرة سريعة على قائد الهليوكوبتر ، الذى بدا وكأنه يصغى إليهما فى اهتمام ، ثم قال فى صرامة :

- مازال فمك الكبير يلقى الأسرار جزافًا يا هذا .

قهقه الرجل على نحو مستفز ، وقال :

- ومازلت أنت شديد الحذر يا رجل .. قل لى : هل تشرب الماء من الصنبور مباشرة ، أم تقوم بغليه أولاً ؟!

نطقها ، وانطلق يضحك بشدة ، و (لاماس) يتطلَّع إليه فى صمت صارم قاس ، حتى توقَّف عن الضحك ، وسأله فى مرح :

- وبمناسبة الحديث عن الماء .. هل وصلتكم

(*) البلوتونيوم : عنصر فلزى ، رمزه (بلو) ، ذو نشاط اشعاعى ، ينتج عن قذف اليورانيوم ٢٣٨ بالنيوترونات ، ولقد كانت القنبلة الذرية ، التى ألقيت على (ناجازاكى) مصنوعة من البوتونيوم ، على عكس تلك التى ألقيت على (هيروشيما) ، والتى تم صنعها من اليورانيوم ٢٣٥

ازداد انعقاد حاجبى (لاماس) فى شدة ، حتى امتزج بعضهما بالبعض ، وألقى نظرة أخرى على الطيَّار ، ثم بدت عليه علامات التفكير لحظة ، قبل أن يلتفت إلى الرجلين الآخرين ، ويلقى إليهما عبارة ما باللغة الأسبانية ، التى يجهلها راكب الهليوكوبتر ، والذى بدا عليه الضيق ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!

أما قائد الهليوكوبتر ، فقد سمع العبارة ، واستوعبها ، فتراجع فى ذعر هائل ، وانطلقت من حلقه حشرجة عجيبة ، اتسعت معها عيناه فى شدة ، قبل أن يندفع بكل قوته ، محاولاً العودة إلى

(*) الماء الثقيل : الصيغة الكيميائية للماء هى (يد٢ أ) وهى تعنى أن كل ذرتين من الهيدروجين تتحدان مع ذرة من الأكسجين ، لتكوين جزىء من الماء ، وذرة الهيدروجين بها (بروتون) واحد ، يكوِّن نواتها ، فإذا أضيف إلى هذه النواة نيوترونا ، فالذرة الناتجة تظل هيدروجينًا من حيث الخواص ، إلا أن وزنها الذرى يتضاعف ، وتصبح أحد النظائر ، ويرمز إليها بالرمز (د) ، أى (الديوتيريوم) ، أو (الهيدروجين) الثقيل ، الذى يتحد مع الأكسجين ، ليصنع الماء الثقيل (يد٢ أ) ، وهو شديد الأهمية فى عمليات التبريد والتلطيف للمفاعلات الذرية .

الهليوكوبتر ، لولا أن قفز الرجلان إليه ، وحاصراه بينهما ، وكل منهما يستلَ مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، فصرخ الطيَّار :

ـ لا .. لا .. أنا لم أفعل شيئًا .. لم أسمع شيئًا .

ومع آخر حروف صرخته ، انطلقت نحوه رصاصتان صامتتان ، فى آن واحد تقريبًا ..

واتسعت عينا الراكب فى شدة ، عندما هوى الطيَّار جثة هامدة ، وهتف فى حدة ، مخاطبًا (لاماس) :

ـ بِمَ أمرتهما أيها التعس ؟! كيف سيمكننى العودة إلى (لاباز) بدون الهليوكوبتر ؟!

استلَّ (لاماس) من جيبه مسدسًا آخر ، مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وهو يقول فى هدوء مستفز :

ـ ومن قال : إنك ستعود إليها ؟!

استدار إليه الرجل فى ارتياع بالغ ، وحدَّق مذعورًا فى فوهة المسدس ، المصوَّبة إلى رأسه مباشرة ، و (لاماس) يتابع بنفس الهدوء :

ـ صدقنى يا رجل .. لست أحقد عليك بصفة شخصية ، ولكنها أمور عمل محضة .. من الواضح أنك لا تدرك بالفعل ما تعنيه السرية المطلقة ، بالنسبة للسنيورا .

حاول الرجل أن يقول شيئًا ..
أى شىء ..
ولكن لسانه المعقود فى حلقه أخرسه ..
واتساع عينيه المذعورتين ألجمه ، بكل رعب وفزع الدنيا المطلّ منهما ، و ...
وانطلقت الرصاصة ..

* * *

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد ، فى أفق العاصمة المصرية ، فى ذلك الصباح ، عندما عبرت سيارة سوداء كبيرة بوّابة المخابرات العامة المصرية ، وانطلقت عبْر الساحة الواسعة إلى مبنى بعيد نسبيًا ، توقّفت أمامه ؛ ليهبط منها مدير المخابرات ، ويتجه إلى المبنى فى خطوات سريعة ، تشفّ عن أهمية الموقف وخطورته ، وما إن دلف إلى قاعة الاجتماعات الخاصة ، فى الطابق الثانى ، حتى استقبله ثلاثة من رجاله فى اهتمام بالغ ، فسأل أحدهم فى توتر ملحوظ :
- ما آخر الأخبار ؟!
أجابه الرجل بسرعة :

- تم اختطاف عالم الفيزياء النووية الفرنسى (جيسكار دى مال) ، منذ ساعة واحدة ، وقتل مختطفوه كلب حراسته الألمانى وسائقه الخاص ، فى أثناء عودتهم جميعًا من حفل ساهر فى (الشانزليزيه)(*) ، وفى التوقيت نفسه تقريبًا ، أو قبله بساعة واحدة على وجه الدقة ، كان خبير المفاعلات النووية الأمريكى(**) (دوران جولهى) ، فى طريق عودته إلى منزله ، فى منتصف الليل بتوقيت الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما اعترضت طريقه سيارة نقل صغيرة ، وانقضّ عليه زنجيان منها ، وأفقداه وعيه ، ثم انطلقا به بأقصى سرعة ، ولم يعثر عليهما رجال الشرطة قط .

(*) الشانزليزيه : شارع من أهم شوارع (باريس) ، يمتدّ من ميدان ، (الكونكورد) إلى قوس النصر ، ويشتهر بجماله وروعته ، ويعتبر ملتقى أهل الفن والعلم والثقافة فى (باريس) .
(**) المفاعل النووى : جهاز عادة ما يكون كبير الحجم ، نظرًا لضرورة جعل جدرانه الواقية سميكة للغاية ، يستخدم لبدء عملية الانشطار النووى واستمرارها فى تفاعل مستمر أو متسلسل ، مع إمكان التحكم فيها كما يمكن استخدامه فى إنتاج (البلوتونيوم) من (اليورانيوم) ، وفى توليد الحرارة النافعة ، وإنتاج النظائر المشعة ، أو كمصدر لتوليد النيوترونات وأشعة (جاما) ، ويحتوى كل مركز للأبحاث الذرية على مفاعل نووى على الأقل .

انعقد حاجبا مدير المخابرات بشدة ، وهو ينقر بأصابعه على سطح منضدة الاجتماعات ، قائلاً :

ـ الأمر أصبح واضحًا للغاية يا رجال .. السنيورا تتحدّى العالم كله هذه المرة ، وتترك علامة منظمة الأفعى ، خلف كل عمل تقوم به ، وتلك الأعمال نفسها تثير الفزع ، من اختطاف علماء الذرة بمختلف تخصصاتهم ، إلى سرقة شحنة الماء الثقيل من (باكستان) ، والاستيلاء على البلوتونيوم ٢٣٩ من (روسيا) .. أخشى أن هدفها واضح للغاية ، على نحو مستفز .

أومأ أحد رجاله برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم :

ـ إنها تسعى لصنع القنابل الذرية .

انبرى الرجل الثالث يتمتم ، وهو يعدِّل وضع منظاره الطبى فوق أنفه فى ارتباك :

ـ والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، نحو أية أهداف ستطلقها .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، عندما سمع عبارة الرجل ، والتفت إليه فى توتر صامت ، قبل أن يميل نحوه ، ويسأله فى اهتمام بالغ :

ـ هل تعتقد أنها أصبحت قادرة على صنعها الآن يا دكتور (محمد) ؟

مطَّ الدكتور (محمد العفيفى) ، أستاذ الهندسة النووية بكلية هندسة (الإسكندرية) شفتيه ، قبل أن يجيب :

ـ لسنا ندرى ما إذا كانت لديها المنشآت اللازمة أم لا ، فصنع القنابل الذرية يحتاج إلى مفاعل نووى ومعامل ، و ...

قاطعه المدير فى حزم :

ـ دعنا نفترض أن لديها كل المنشآت والأدوات المطلوبة .

رفع الدكتور (محمد العفيفى) حاجبيه فى دهشة ، قائلاً :

ـ ولكن هذا يحتاج إلى مبالغ هائلة ، ومن المستحيل أن يتمكَّن شخص واحد من توفيرها ، حتى تلك السنيورا .

تبادل المدير نظرة متوترة مع رجليه ، قبل أن يقول :

ـ لسنا ندرى بعد من أين تحصل السنيورا على التمويل الخرافى لكل ما تفعله ، ولكن من الواضح أن لديها مصدرًا لا ينضب .. ولكن دعنا من هذا الآن ،

وأخبرنى : هل لدى السنيورا الآن الكفاءة البشرية اللازمة لصنع قنابل ذرية .

صمت الدكتور (محمد) بضع لحظات ، تعلقت به خلالها أبصار الجميع ، قبل أن يهزّ رأسه فى حزم ، قائلاً :

- كلا .. ليس بعد .

تنفس الرجال الثلاثة الصعداء ، ثم سأله أحد مساعدى المدير فى اهتمام :

- ومن ينقصها لتفعل ؟!

أجابه الدكتور (محمد) فى سرعة :

- خبير فى الهندسة النووية .

سأله المدير :

- أتعنى شخصًا مثلك ؟!

أومأ الدكتور (محمد العفيفى) برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول :

- بالضبط .. وأنا لست مغرورًا أو متعاليًا فى المعتاد ، إلا أن الأرقام والوقائع تؤكد أن الوحيدين اللذين يمكنهما إفادتها فى هذا المضمار ، هما أنا ، والبروفيسير الألمانى (مارك مانهايم) .

سأله مساعد المدير :

- ولماذا أنتما بالتحديد ؟!

أشار الدكتور (محمد) بسبّابته ، قائلاً :

- إنها تفاصيل فنية يصعب شرحها ، ولكن صدّقانى .. أنا والبروفيسير (مانهايم) وحدنا يمكننا إكمال الفريق .. فريق السنيورا النووى .

ران على القاعة صمت ثقيل رهيب ، استغرق دقيقة كاملة ، قبل أن يغمغم المدير :

- إذن ، فالبروفيسير (مانهايم) هو الهدف التالى للسنيورا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دبّ نشاط مدهش فى القاعة ، على نحو اتسعت له عينا الدكتور (محمد العفيفى) فى دهشة بالغة ، فقد قفز أحد مساعدى المدير إلى جهاز الكمبيوتر ، فى حين راح الثانى يجرى عددًا من المكالمات الهاتفية السريعة ، متنقلاً بين أربع لغات حية ببراعة فائقة ، فى حين نهض المدير يراجع خريطة كبيرة للعالم ، تحتل نصف الجدار المقابل تقريبًا ، ولم يمض ربع الساعة ، حتى هتف أحد الرجلين فى حماس شديد :

- البروفيسير (مانهايم) يقضى إجازته فى (البرازيل) وبالتحديد فى (ريو دى جانيرو) .

التفت إليه المدير ، قائلاً فى اهتمام :

- هل تأكدتم من هذا ؟

أجابه الرجل الآخر بسرعة :

- نعم .. لقد ابتاع تذكرة الطيران ، وحجز الفندق فى (ريو دى جانيرو) بوساطة بطاقته الائتمانية ، والكمبيوتر يؤكد أنه فى طريقه الآن إلى هناك ، ولابد أن نلحق به ، قبل أن يختطفه رجال السنيورا أيضًا .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يراجع الخريطة مرة أخرى ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- لقد انتهى (أدهم) من مهمته فى (طوكيو)(*) . أليس كذلك ؟!

أجابه أحد مساعديه :

- بلى يا سيِّدى ، وهو يستعد لمغادرتها بعد قليل إلى (سنغافورة) ، فى طائرة خاصة صغيرة ، وعلى نحو بالغ السرية .

صمت المدير بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- أرسل إليه برقية شفرية عاجلة ، ليتجه مع (جيهان) مباشرة إلى (ريو دى جانيرو) .

(*) راجع قصة (الفريق الاسود) .. المغامرة رقم (١١٢) .

ارتفع حاجبا المساعد فى دهشة ، وقال :

- ولكن يا سيِّدى ، سيادة العميد (أدهم) لم ...

قاطعه المدير فى صرامة :

- هل تعتقد أنه هناك شخص آخر ، يمكن أن يتصدَّى للسنيورا ؟

صمت الرجل لحظة ، وتبادل مع زميله نظرة صامتة ، قبل أن يقول الأخير :

- كلاَّ ... إنه الشخص المناسب تمامًا يا سيِّدى ، على الرغم من ...

كان يرغب فى الإشارة إلى إصابات (أدهم) ، من مواجهته السابقة مع السنيورا(*) ، إلا أنه لم يجد فائدة لهذا ، فأطبق شفتيه على لسانه ، على نحو جعل المدير يعقد حاجبيه بشدة أكثر ، ويقول بصرامة تامة :

- ارسل البرقية إلى (أدهم) .

وهكذا بدأت المغامرة الجديدة .. والمميتة .

* * *

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

٢ ـ جلد الأفعى ..

أطلت الشمس بقرصها الأحمر المتوهج ، من خلف سلاسل الجبال فى (بوليفيا) ، وألقت أشعتها الذهبية على تلك المنطقة الجبلية الوعرة ، بالقرب من (فيلا مونتز) ، وامتزجت حرارتها بحرارة القدّاحة الذهبية ، التى أشعلت بها السنيورا سيجارتها الطويلة ، وهى تجلس فى شرفة مقرّها الجديد ، المحفور فى قلب الجبل ، والذى بدا أشبه بحصن من الحصون القديمة ، يمزج ما بين الفخامة والقوة ، ويختفى فى براعة مدهشة ، وسط الصخور والجبال الضخمة ، بحيث يصعب تمييزه من بينها ، أو تحديد معالمه من بعيد ، بأية وسائل تقليدية معروفة ..

وفى عمق شديد ، نفثت السنيورا دخان سيجارتها ، وراحت تراقبه فى شىء من الاسترخاء والاستمتاع ، وهو يتشتت بالنسيم العليل ، فى تلك الساعة المبكرة ، ثم لم تلبث أن أسبلت رموشها الشقراء الطويلة على عينيها الجميلتين ، وتمتمت :

ـ صباح جميل .

أتاها صوت هادئ من خلفها ، يقول :

ـ ليس أجمل منك يا سنيورا .

سرت رجفة غير ملحوظة فى جسدها ، عند سماعها ذلك الصوت ، وانعقد حاجباها فى شدة وغضب ، وهى تلتفت إلى صاحبه ، قائلة فى صرامة :

ـ كيف دخلت إلى هنا يا (لاماس) ؟! من سمح لك بالدخول ؟!

ابتسم الشاب الأسمر الوسيم ، وهو يجيب :

ـ لم يسمح لى أحد بذلك يا سنيورا ، ولكن خادمتك أخبرتنى أنك هنا ، فرأيت أن ...

قاطعته بغتة بصوت هادر ، ولهجة تحمل كل استنكار الدنيا :

ـ رأيت ؟!

لم يكن الشاب جبانًا أو رعديدًا ، بل كان واحدًا من أقوى وأشجع شبان (بوليفيا) ، باعتراف أقرانه ، ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، انتفض فى قوة مع صيحتها ، وتراجع بحركة حادة عنيفة ، كاد يسقط معها على ظهره ، عندما صرخت فى وجهه ،

واتسعت عيناه فى شىء من الذعر والتوتر ، وهى تتابع بغضب هادر :

- ومنذ متى يفعل أى شخص ما يراه هنا ، دون الرجوع إلىَّ ؟! من أعطاك الحق فى اتخاذ أية قرارات ذات شأن ، في هذا المكان ؟!

غمغم مرتبكا :

- معذرة يا سنيورا ، ولكننى تصورت أن الأمر أبسط من أن ..

قاطعته ثائرة :

- ليس من حقك حتى أن تتصوَّر هذا .. بل ليس من حقك أن تتصوَّر أى شىء .. إنك تتقاضى ذلك الراتب الضخم لتنفذ فقط ، وليس لتفكِّر أو تتصوَّر ..

لو أننى أحتاج إلى من يفكِّر ، لاستبدلتك بجهاز كمبيوتر متطوِّر ، وسيمنحنى كفاءة أكثر .

ثم مالت نحوه ، ونيران الغضب تشتعل وتتأجَّج فى عينيها ، حتى إنه تراجع فى ذعر أكبر ، وارتجفت شفتاه على نحو ملحوظ ، وهى تقول بصوت هادر صارم :

- اسمع يا هذا .. لقد خسرت معركتى السابقة ؛

لأننى اعتمدت على أناس مثلك ، توهَّموا أنهم قادرون على التفكير واتخاذ القرار ، ولست مستعدة لخسارة معركتى هذه للسبب نفسه .. لا أحد سيتخذ القرارات هنا سواى .. هل تفهم ؟! لا أحد ..

تراجع (لاماس) أكثر وأكثر ، وهو يتطلَّع مبهوتًا مأخوذًا إلى عينيها الغاضبتين وملامحها الثائرة ، وبدا له ، على الرغم من كل ما قالته ، أن الأمر لم يكن يستحق كل هذا ، إلا أن التوتر الشديد فى أعماقه ، جعله يتمتم بصوت متحشرج مبحوح ، من فرط جفاف حلقه :

- إننى أعتذر .

واصلت السنيورا تحديقها فى عينيه لحظة ، بتلك النظرة الغاضبة الملتهبة ، ثم تراجعت فى بطء إلى مقعدها ، والتقطت نفسًا آخر من سيجارتها ، نفثته فى قوة ، وهى تقول :

- لماذا أتيت إلى هنا ؟!

ارتفع حاجباه بشدة بالغة ، وهو يستمع إلى سؤالها ، حتى كادا يتجاوزان جبهته ، ومال برأسه إلى الأمام ليتطلَّع إليها مبهوتًا ؛ فقد بدا له صوتها هادئًا للغاية ،

خاليًا من أى أثر للغضب والثورة ، كما لو أنها قد ضغطت زرًا خفيًا فى أعماقها ، فاستبدلت مشاعرها كلها بأخرى فى لحظة واحدة ..

ولكن انفعاله هذا لم يطل ..

لقد نفضه عن نفسه بسرعة ؛ ليجيب في احترام :

- كل شىء يسير على ما يرام ، وفقًا لخطتك يا سنيورا .. العلماء الثلاثة هنا ، ولقد تم تسكينهم فى الأماكن المخصصة لهذا ، وبناء المفاعل انتهى بالفعل ، ويتمّ تزويده الآن بشحنة الماء الثقيل .

تألّقت عيناها لحظة ، وهى تغمغم :

- عظيم .

ولاذت بالصمت قليلاً ، وعيناها الجميلتان تراقبان شروق الشمس ، وتلك الظلال الضخمة ، التى تلقيها الجبال على ودياتها ، قبل أن تسأل :

- وماذا عن الألمانى ؟!

أجاب (لاماس) فى سرعة :

- لقد أرسلت (فيكتور) و (ناجو) إلى (ريو دى جانيرو) ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى يعودا إلينا به .



ارتفع حاجباه بشده بالغة ، وهو يستمع إلى سؤالها ، حتى كادا يتجاوزان جبهته ..

نفثت السنيورا دخان سيجارتها مرة أخرى ، ثم قالت فى حزم :

- عظيم .. سنبدأ العملية الحقيقية فور وصوله .

وضاقت عيناها ، وهى تتطلَّع إلى الجبـال ، قبل أن تلقى ما تبقَّى من سيجارتها عبر الشرفة ، مضيفة فى لهجة عجيبة ، تجمع ما بين الجذل والحزم واللهفة :

- أضخم عملية فى تاريخ منظمات التجسُّس الخاصة .. أضخمها على الإطلاق .

قالتها ، وتألَّقت فى عينيها ضحكة ..

ضحكة كبيرة ..

وظافرة ..

★ ★ ★

« بقيت عشر ثوانٍ فقط يا (أدهم) .. تسـع .. ثمان .. سبع .. ست .. »

تردَّد صوت (سونيا جراهام) عبرمكبرات الصوت ، المنتشرة فى ممرات وكرها السرى ، و(أدهم) ينطلق بأقصى سرعته عبرها ، مصابًا برصاصة فى ذراعه ، وأخرى فى كتفه ، وثالثة تحتك بعنقه ، ومدفعه الآلـى يحصد كل من يعترض طريقه ، بلا رحمة أو هوادة ..

ولاح لـه بـاب فـى نهايـة الممـر ، ولكـن رجـلاً اعترضه صارخًا :

- انتهيت يا رجل .

ضغط زناد مدفعه الآلى ، ولكن رصاصاته كانت قـد نفدت عن آخرها ، فهوى بكعب المدفع على فك الرجل ، صارخًا ..

- ابتعد عن طريقى .

وواصل عدوه نحو الباب ، و (سونيا) تصرخ :

- ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة ..

ثم دوى الانفجار ..

انفجار أطاح بالقاعة التى تضمّ (سونيا) ، وأحب شخص فى الوجود إلى قلبه ..

ابنـه ..

و ..

« (أدهم) .. استيقظ يا (أدهم) .. لقد وصلنا » .

فتح (أدهم) عينيـه فـى بطء ، متطلِّعًا إلـى وجـه (جيهان) ، التى سألته فى قلق :

- أكنت تعانى كابوسًا ما ؟!

أومأ برأسه إيجابًا، وهو يعتدل فى مقعده ، ويفـرك عينيه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. الكابوس نفسه .

ارتفع حاجباها بشيء من التعاطف ، وهى تهمس فى حنان :

ـ مصرع ابنك و (سونيا) ؟!

عاد يومئ برأسه إيجابًا ، وهو ينهض لالتقاط حقيبته ، فالتقطت حقيبتها بدورها ، ولحقت به عند باب الطائرة ، هامسة :

ـ ألا يمكنك نسيان هذا قط ؟!

خُيِّل إليها أن صوته قد حمل كل أسى وحزن الدنيا ، وهو يغمغم فى اقتضاب :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى .

وصمت لحظة ثقيلة ، قبل أن يضيف فى مرارة :

ـ ولكن شيئًا ما يعيد الذكرى إلى عقلى ، وبأدق تفاصيلها ، عندما تظهر تلك اللعينة .

كان الركاب يحيطون بهما ، لذا فقد لاذت بالصمت ، وكتمت سؤالها فى أعماقها ، حتى انتهت إجراءات الجوازات ، وهمست :

ـ أما زلت تعتقد أن (سونيا جراهام) هى السنيورا ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، على نحو يوحى بأن السؤال لم يرق له ، وغمغم فى صرامة :

ـ لدى أسبابى .

لم يرق لها هذا الأسلوب الجاف ، فعقدت حاجبيها بدورها ، ومطّت شفتيها الجميلتين معترضة ، وتركته يحجز تذكرتين جديدتين ، للطائرة التى ستحملهما من (برازيليا) إلى (ريو دى جانيرو) ، ثم سألته بلهجة ، بذلت قصارى جهدها ؛ لتبث فيها شعورًا باللا مبالاة :

ـ متى ستصل بنا الطائرة إلى (ريو) ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ ستقلع بعد ساعة واحدة تقريبًا ، ورحلتها إلى (ريو دى جانيرو) تستغرق ساعتين وربع الساعة فى المتوسّط ، وهذا يعنى أن نصل إلى هناك بعد ثلاث ساعات وربع الساعة بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

هزّت كتفيها ، وأشاحت عنه بوجهها ، قائلة فى لهجة لم يزايلها الغضب بعد :

ـ المهم أن نصل فى الوقت المناسب .

نطقتها دون أن تدرى كم كانت عبارتها صادقة ..

فالوقت يمضى بسرعة ، والسنيورا مصرة هذه المرة على الفوز ..

وهذا يعنى أن الأمر لا يعتمد على الوصول إلى (ريو دى جانيرو) فحسب ..

المهم أن يصلاها فى الوقت المناسب ..

وإلا ..

* * *

تململ (فيكتور) فى مجلسه ، ومط شفتيه فى ضجر ، وهو يتحسس المسدس الضخم فى جيب سترته ، قبل أن يقول لزميله (ناجو) ، وهما يجلسان فى بهو ذلك الفندق الفاخر ، المطل على المحيط الأطلنطى ، فى (ريو دى جانيرو) .

- لست أدرى لِمَ نضيع كل هذا الوقت ؟! لماذا لم نختطف ذلك الرجل فور وصوله أمس ، بدلاً من أن ننتظر هبوطه هنا ، وكأننا رجال علاقات عامة .

هز (ناجو) رأسه ، وقال :

- لا شأن لنا بهذا .. إننا ننفذ الأوامر فحسب .. ربما خشى الرؤساء قوة الأمن فى المطارات ، أو وجود عدد من علية القوم فى هذا الفندق ، وأيًا كانت

أسبابهم ، فمن المؤكد أنهم درسوا الأمر بأفضل مما يمكننا أن نفعل ، ووجدوا أن هذا أفضل مكان وزمان لتنفيذ العملية .

مطَّ (فيكتور) شفتيه مرة أخرى ، وغمغم على نحو يوحى بعدم الاقتناع :

- ربما .

خُيِّل لزميله أنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه لم يلبث أن أضاف فى عصبية :

- وهل سننتظر هكذا للأبد ؟

وضع (ناجو) سبَّابته على شفتيه ، قائلاً فى صرامة :

- اصمت يا رجل .. لا تفسد العملية كلها .

قال (فيكتور) فى شىء من العصبية :

- إنها أسخف عملية قمنا بها .

انفرجت شفتا (ناجو) ، وبدا لحظة وكأنه سيجيبه بشىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما فى سرعة ، وندت منه حركة متوترة ، قبل أن يقول بصوت منفعل :

- ها هو ذا .

انتفض (فيكتور) فى مجلسه ، وغمغم فى انفعال ، ويده تقفز إلى مسدسه :

ـ حقًّا ؟!

نهض (ناجو) ، قائلاً فى حزم :

ـ تمالك نفسك يا رجل .. لابد أن يسير كل شىء طبقًا للأوامر .

تعلق بصراهما بالبروفيسير (مانهايم) ، الذى يغادر مصعد الفندق مع زوجته ، وهما يتحدثان فى سعادة واضحة ، وتوقفا فى موضعهما ، حتى تجاوزهما البروفيسير ، وهو يقول لزوجته فى حماس :

ـ وكيل شركة السياحة أكّد لى أن أفضل مكان ، يمكن الذهاب إليه ، فى هذه الفترة من العام ، هو (ريو دى جانيرو) .. هل تشعرين بالطقس الجميل ؟!

أجابته زوجته بابتسامة رقيقة :

ـ الطقس جميل بالفعل ، ولكننى كنت أتمنى الذهاب إلى (القاهرة) هذا العام ، فمنذ حداثتى أتمنى رؤية آثارها الفرعونية المبهرة .

ضحك البروفيسير ، قائلاً :

ـ لا عليك يا عزيزتى .. أعدك أن نذهب إلى (القاهرة) ، فى إجازتنا القادمة .

ابتسمت الزوجة ، وهى تقول :

ـ إجازتنا القادمة ؟! لقد انتظرت تسع سنوات كاملة ، منذ إجازتنا الأخيرة ؛ لنحظى بهذه الإجازة يا عزيزى .

ضمّها إليه فى رفق ، وهما يغادران الفندق ، وهمس :

ـ أنت تعرفين ظروف العمل ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، التصقت فوهة مسدس باردة بعموده الفقرى ، وسمع صوتًا غليظًا أجشّ ، يقول فى خشونة :

ـ سنمنحك نحن إجازة طويلة يا رجل .

انتفض جسد البروفيسير (مانهايم) فى ذعر هائل ، فى حين شهقت زوجته ، وهتفت بصوت مختنق مكتوم :

ـ رباه !.. من أنت ؟!.. ماذا تريد منا ؟!

فوجئت بمسدس آخر يلتصق بجانبها ، وصوت قاس يقول :

- اصمتى يا امرأة ، وإلا نسفت رصاصاتى رأسك .

قفز ذعرها إلى ذروته ، وأغلقت فمها على لسانها ، والرجلان يدفعانهما أمامهما عَبْر الشارع ، نحو سيارة سوداء كبيرة ، وزاغت عينا الزوجة فى ارتياع ، وهى تبحث ببصرها عن رجل شرطة ، يمكنها أن تستنجد به ، ولكن الرجلين واصلا الدفع فى قسوة وعصبية ، والبروفيسير يسأل مرتجفًا :

- لماذا نحن ؟! إننا لا نحمل نقودًا كافية ، ولسنا ..

قاطعه (فيكتور) فى عصبية :

- اصمت يا رجل ، وادخل إلى السيارة دون مقاومة ، وإلا ...

لم يتمّ عبارته ، أو يحاول حتى إتمامها ، وإنما دفع البروفيسير (مانهايم) داخل السيارة فى قسوة ، فى حين جذب (ناجو) زوجته فى عنف ؛ ليضعها إلى جوار زوجها ، و ...

وفجأة ، انهارت أعصاب الزوجة ..

لم تستطع احتمال ذلك الموقف لأكثر من هذا ، فصرخت بلا مقدمات :

- النجدة .. انقذونا .. إنهما يختطفاننا .

دوت صرختها كالقنبلة وسط الطريق ، واحتقن معها وجه (فيكتور) فى شدة ، وهو يهتف :

- أيتها اللعينة !

كانت صرختها بالألمانية ، التى لم يفهمها أحد ، إلا أن المشهد لم يكن بحاجة إلى كثير من الشرح ، وخاصة عندما بدأت تقاوم فى عنف ، وتطلق صرخات رعب عالية ، جعلت (ناجو) يهتف :

- اللعنة !

قفز (فيكتور) إلى مقعد القيادة ، وأدار محرك السيارة ، وهو يهتف بزميله :

- أسرع يا رجل .. رجال الشرطة يندفعون نحونا .

جذب (ناجو) الزوجة فى قوة ، إلا أن الانهيار العصبى الذى أصابها ، جعلها تضربه بقدميها وقبضتها فى استماتة ، على الرغم من صرخات زوجها ، ومحاولته لإنقاذها ، فصاح بها (ناجو) فى غضب ، وهو يصوّب إليها مسدسه :

- فليكن أيتها اللعينة !.. أنت أردت هذا .

وأطلق رصاصات مسدسه نحوها ..

واشتعل الموقف أكثر وأكثر ..

البروفيسير (مانهايم) صرخ فى ارتياع :

- لا .. ليس هى .

واستلّ رجال الشرطة مسدساتهم ، وهم يهرعون نحو السيارة ، وقد أدركوا أنها محاولة اختطاف عنيفة .

لذا فقد استدار (ناجو) بسرعة مدهشة ، وهوى على رأس البروفيسير بكعب مسدسه ، قبل أن يقفز داخل السيارة ، صائحًا :

- انطلق يا (فيكتور) .. انطلق يا رجل .

ردّد المكان كله صرير إطارات السيارة السوداء ، وهى تنطلق بأقصى سرعة ، وترتطم بأحد رجال الشرطة ، فتطيح به جانبًا ، وتبتعد كالصاروخ ، ورصاصات رجلى شرطة آخرين تنطلق خلفها ..

وفى عصبية زائدة ، هتف (فيكتور) :

- تلك اللعينة كادت تُفسد الأمر كله .

أجابه (ناجو) فى توتر ، وهو يعتدل فى مجلسه ، ويدفع (مانهايم) الفاقد الوعى جانبًا فى قسوة :

- من حسن طالعنا أن هذا لم يحدث ، فالزعيمة لا تقبل بالفشل قط ، وعقابها قاسٍ مخيف ، حتى إننى أخشى مجرّد التفكير فيه .

لوّح (فيكتور) بكفه فى عصبية ، وهو يقول :

- لا تفعل إذن يا رجل ، فلم يعد هناك داع للتفكير فى الفشل .. الشرطة هنا بطيئة ، ولن يمكنها اللحاق بنا بالسرعة اللازمة ، والرجل المنشود فى قبضتنا بالفعل .

ثم ألقى نظرة على البروفيسير الفاقد الوعى ، قبل أن يسترخى فى مقعده ، ويعيد مسدسه إلى غمده ، مضيفًا :

- لقد أنجزنا مهمتنا يا صديقى .. وبنجاح .

استرخت أعصاب (فيكتور) إلى حد ما مع العبارة ، وتراخت أصابعه المتوترة على عجلة القيادة ، وواصل انطلاقته بمحاذاة الشاطئ ..

وبنجاح ..

* * *

ألقى (أدهم) نظرة متوترة على ساعة يده ، وهو يجلس إلى جوار (جيهان) ، فى السيارة الرياضية الصغيرة الحمراء ، التى استأجرتها من المطار ، وقال فى شىء من العصبية :

- من المؤسف أننا لا نستطيع الانطلاق بسرعة

أكبر ، وإلا جذبنا انتباه رجال الشرطة ، وجلبنا لأنفسنا المتاعب قبل أوانها .

ابتسمت (جيهان) ، قائلة :

- ولماذا القلق والتوتر الآن ؟! لقد قضينا ساعات طوال فى رحلتنا ، من (سنغافورة) إلى هنا ، ولن يضيرنا أن نفقد بضع دقائق أخرى .

زفر فى توتر شديد ، وهو يلقى نظرة أخرى على ساعته ، قبل أن يقول :

- لست أدرى .. منذ دقائق أشعر بتوتر زائد ، وكأن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، مالت (جيهان) بالسيارة ، لتتجه إلى الفندق ، فانعقد حاجباه فى شدة ، ومال إلى الأمام بحركة حادة ، متطلعًا إلى حالة الهرج والمرج ، التى سادت المكان ، وإلى سيارة الإسعاف ، التى أطلقت بوقها بأقصى قوته ، محاولة شق طريقها بين المارة ، الذين تجمهروا فى المكان ، على نحو جعل (أدهم) يهتف بـ (جيهان) فى حدة :

- توقّفى .

ضغطت فرامل سيارتها بحركة غريزية قوية ،

وقبل أن تتوقّف بها إلى جانب الطريق ، كان (أدهم) قد قفز خارجها ، وشق طريقه بين المزدحمين ، وجذب أحد رجال الشرطة ، قائلاً بالإنجليزية :

- (والتر بست) ، من محطة (بى. بى. سى) الإخبارية .. قل لى : ماذا حدث هنا ؟!

أجابه الشرطى متوترًا ، بلغة انجليزية ركيكة :

- رجلان فى سيارة (شيفروليه) سوداء كبيرة ، اختطفا سائحًا ألمانيًّا بالقوة ، وأطلقا النار على زوجته ، وكادا يقتلانها .

سأله (أدهم) فى سرعة :

- هل التقط أحد رقم السيارة ، أو حدَّد اتجاهها ؟!

أجابه الشرطى بنفس التوتر :

- الأرقام كانت مطموسة ، والسيارة انطلقت فى هذا الاتجاه ، ولقد أبلغنا وحدات المرور المختلفة ، ولكن ..

لم يجد الرجل وقتًا لإتمام عبارته ، فقد انسحب (أدهم) بغتة بسرعة ، وقفز داخل السيارة الرياضية الحمراء ، وهو يقول لـ (جيهان) :

- الأوغاد وصلوا قبلنا .

قالها ، وهو يشير إلى الاتجاه ، الذى انطلقت فيه السيارة السوداء ، فانطلقت (جيهان) فى نفس الاتجاه على الفور ، وهى تقول فى دهشة محنقة :

- ألم يكن باستطاعتهم الانتظار لربع ساعة أخرى ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، واكتسى وجهه بتوتر ملحوظ ، فارتبكت مغمغمة :

- معذرة .. لم أقصد السخرية من الـ ...

قاطعها بغتة :

- هذه المطاردة غير مجدية .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- غير مجدية ؟! ماذا تعنى ؟! ألا ينبغى أن نطارد تلك السيارة السوداء الكبيرة ؟!

هزَّ رأسه نفيًا فى قوة ، وقال :

- كلاَّ .. السنيورا لا تستعين أبدًا إلا بالمحترفين ، وأقل محترف فى هذا المضمار سيدرك جيدًا أن الفرار بسيارة ذات مواصفات معروفة ، يعدّ ضربًا من الحماقة والغباء ، حتى ولو كانت أرقامها مطموسة ، وخاصة داخل المدن ، لأن رجال الشرطة يمكنهم إقامة عشرات المتاريس والحواجز فى الشوارع ، وإيقاف

كل السيارات المشابهة ؛ لذا فمن المنطقى أن يتمّ استبدال السيارة بأخرى ، بعد الابتعاد عن مسرح الجريمة .

ارتفع حاجباها فى شىء من الارتياع هذه المرة ، وهتفت :

- كيف يمكننا إذن مطاردة سيارة نجهلها ؟!

أجابها بسرعة :

- هذا مستحيل !

مطّت شفتيها فى أسف وأسى ، وهمّت بقول شىء ما ، لولا أن استطرد فى حزم صارم :

- بالوسائل التقليدية .

قالها ، واستدار يلتقط حقيبته الصغيرة ، وانتزع منها جهاز كمبيوتر محمولاً(*) ، راح يوصله بهاتف السيارة ، فسألته فى لهفة :

(*) الكمبيوتر المحمول : هو جهاز كمبيوتر صغير الحجم ، يطلق عليه اسم (Power Book) ، أو (Note Book) ، أو (Lap - top) ، وهو على الرغم من صغر حجمه ، له نفس مواصفات وخصائص جهاز الكمبيوتر الشخصى ، وربما أكثر كفاءة فى بعض أنواعه .

- ماذا ستفعل ؟!

أجابها فى حسم :

- سأتعامل مع السنيورا بأسلوب جديد .

ثم رفع عينيه إليها ، مضيفًا :

- وغير تقليدى .

وعاد إلى عمله ..

وبمنتهى الدقة ..

★ ★ ★

أطلق (فيكتور) ضحكة عالية مجلجلة ، وهو ينطلق بسيارة (جيب) بيضاء إلى مطار خاص صغير ، فى أطراف (ريو دى جانيرو) ، ولوَّح بيده فى حماس ، قائلاً لزميله (ناجو) :

- فعلناها يا رجل .. فعلناها .. أراهن على أن رجال الشرطة الأغبياء يشدّون شعورهم ، ويعضون شفاههم فى غيظ ، بعد أن عثروا على تلك السيارة السوداء خالية ، على مسافة ثلاثة كيلومترات من الفندق ، وقبل أن يهرشوا رءوسهم ، ويشعلوا أمخاخهم ، ويتوصّلوا إلى الحقيقة ، سنكون قد غادرنا بلادهم تمامًا .

ألقى (ناجو) نظرة على البروفيسير ، الذى بدأ يتململ فى رقاده ، على نحو يوحى بأنه فى طريقه لاستعادة وعيه ، وغمغم :

- ليتنى أشعر بنفس تفاؤلك يا صديقى ، فطبيعتى لا تعترف بالنجاح ، إلا مع إنجاز الخطوة الأخيرة .

قهقه (فيكتور) ضاحكا مرة أخرى ، وقال :

- ها هى ذى الخطوة الأخيرة ، على قيد أمتار قليلة منا يا رجل .. ثلاث دقائق فحسب ، ونبلغ المطار ، حيث تنتظرنا تلك الطائرة الخاصة ، التى ستحملنا مع صيدنا إلى (فيلا مونتز) .

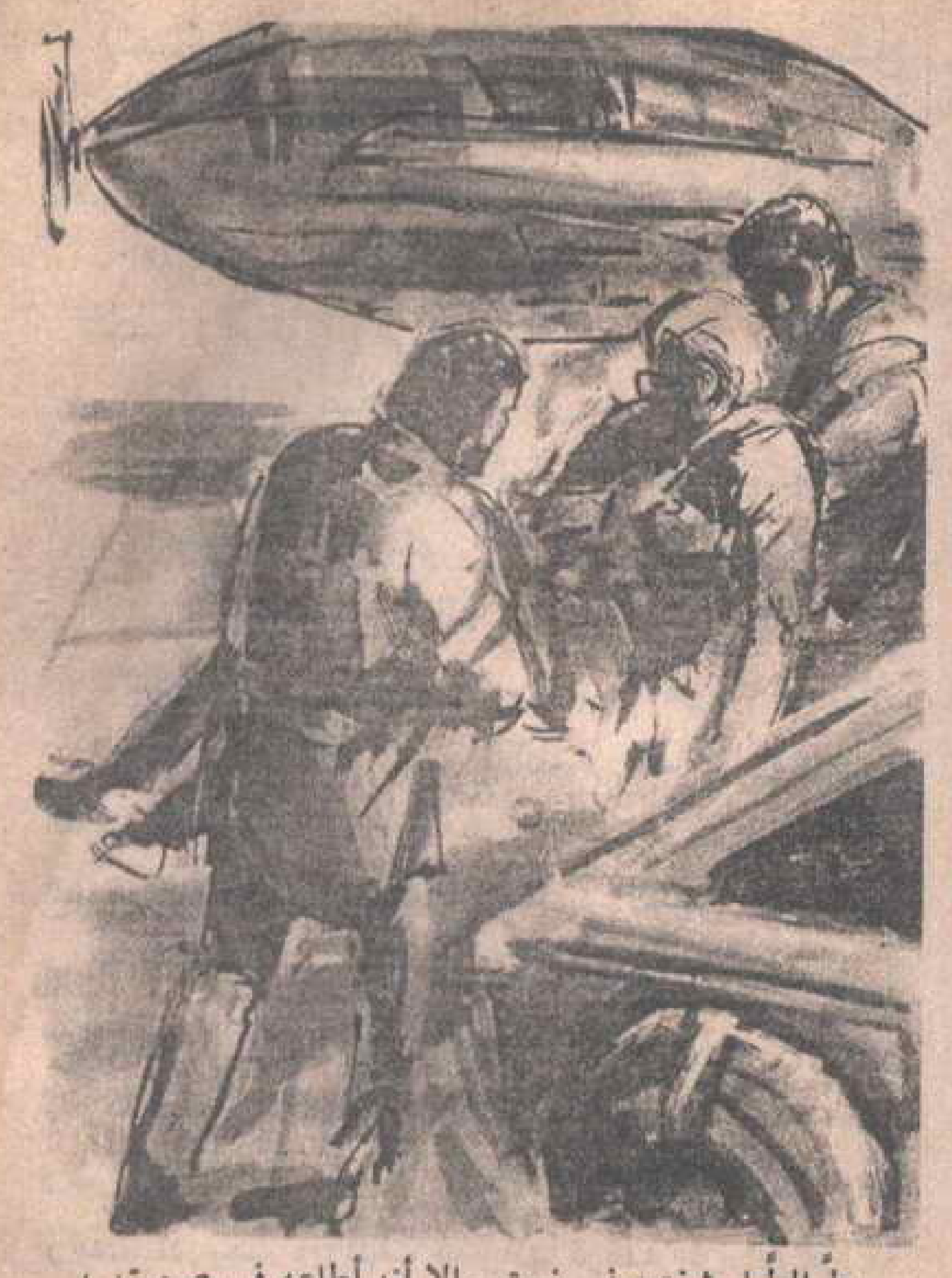
انعقد حاجبا (ناجو) ، وهو يقول فى حدة :

- ويحك يا رجل .. كيف تنطقها ؟! أنسيت أوامر السنيورا ؟! محظور تمامًا الإشارة إلى مقرنا السرى ، حتى فى الأماكن الخالية .

ارتبك (فيكتور) ، وهو يغمغم :

- معذرة يا (ناجو) .. لم أكن أقصد أن ...

لم يستطع إتمام عبارته من شدة ارتباكه ، فازدرد لعابه فى صعوبة ، وزاد من ضغط قدمه على دوّاسة الوقود ، ليتجاوز الأمتار القليلة المتبقية ، حتى لاح له المطار الصغير ، فتمتم :



مطّ الطيَّار شفتيه فى ضيق ، إلا أنه أطاعه فى صمت ، وعاونه على حمل البروفيسير (مانهايم) ..

- لقد وصلنا .

تجاوز بوَّابة المطار بسرعة كبيرة نسبيًا ، ومال بعجلة القيادة ، لتقطع السيارة قوسًا محدودًا ، قبل أن تتوقَّف أمام طائرة مروحية صغيرة ، من ذلك الطراز المعدّ لحمل ستة ركَّاب على الأكثر ، ولم تكد تفعل حتى اندفع الطيَّار نحوها ، وهتف :

- أخيرًا !.. لماذا تأخَّرتما ؟! إننى أنتظركما منذ نصف الساعة .

غادر (ناجو) السيارة ، وهو يجيبه فى خشونة :

- اصمت يا رجل ، وساعدنا على نقل ذلك الرجل إلى الطائرة ؛ لنقلع على الفور .

مطّ الطيَّار شفتيه فى ضيق ، إلا أنه أطاعه فى صمت ، وعاونه على حمل البروفيسير (مانهايم) ، الذى استعاد وعيه نسبيًا فى تلك اللحظة ، فتمتم فى عصبية :

- أين أنا ؟! أين (إيفا) ؟! ماذا فعلتم بها ؟!

أجابه (ناجو) فى غلظة :

- اصمت .

قالهـا ، وهـوى بقبضتـه علـى مؤخـرة عنـق البروفيسير ، الذى انتفض جسده فى عنف ، قبل أن يعود إلى غيبوبته العميقة ، فقال الطيَّار فى حدة :

ـ أهناك ضرورة لهذه القسوة ؟

أجابه (فيكتور) فى صرامة :

ـ لا تتدخل يا صاحب القلب الرقيق .

عقد الطيَّار حاجبيه فى غضب ، وغمغم ساخطًا :

ـ اللعنـة !.. متى تنتهى هذه المهمة السخيفة ؟!

أجابه (ناجو) فى غلظة :

ـ أقلع بنا من هنا بسرعة ، وينتهى الأمر كله يا هذا .

كان الجواب كافيًا ليسـرع الطيَّار بنقل البروفيسير القاقد الوعى ، إلى مقعد خـاص فى مؤخـرة الطـائرة الصغيرة ، ثم يحتلَ موقعه إلى جوار الطيَّار المساعد ، فى كابينة القيادة ، فى حين اتخذ (فيكتور) و(نـاجو) مقعديهما ، وتمَ إغلاق بـاب الطـائرة ، التى اشتعلت محركاتهـا ، ودارت مراوحهـا ، وراحت تزحف علـى أرض المطـار فى بطء ، ثـم لـم تلبـث سـرعتها أن تزايدت تدريجيًا ، وبدأت إطاراتها ترتفع عن الأرض ، استعدادًا للإقلاع ..

وكان هذا يعنى أن (أدهم) و (جيهان) لم ينجحا فى مهمتهما هذه المرة ..

لقد فشلا فى إنقاذ البروفيسير (مانهايم) ومنع اختطافه ، فى اللحظة المناسبة ..

وهكذا تربح السنيورا معركتها النووية الجديدة .. وبجـدارة .





٣ - الفشل ..

« نهار سعيد أيها السادة .. »

شحبت وجوه علماء الذرة الثلاثة (استروتيسكى) و (جولهى) و (دى مال) ، وهم يحدّقون فى تلك المرأة الفاتنة الساحرة ، التى نطقت العبارة بصوت أنثوى ناعم ، لايتناسب قط مع النظرة الساخرة القاسية ، المطلّة من عينيها الجميلتين ، وهى تقف وسط أربعة من رجال حراستها المفتولى العضلات ، الذين يحملون مدافع آلية قوية ، من طراز حديث ، وتعلّقت عيونهم لحظات بدخان سيجارتها ، الذى نفثته فى عمق ، قبل أن تتابع بلهجة تشف عن اعتياد القوة والسيطرة ، وهى تدلف إلى مقعدها الخاص الوثير ، فى صدر القاعة الواسعة ، التى تلتقى بهم فيها ..

- أراهن على أنكم تتساءلون عن سبب إحضاركم إلى هذا المكان ، الذى تم إخفاؤه فى مهارة تامة ، وسط سلاسل جبال (بوليفيا) .

اندفع (استروتيسكى) يقول :

- هذا صحيح .

ولكنه لم يكد ينطقها ، حتى سرت فى جسده ارتجافة عصبية ، واستدرك فى ذعر :

- ولكننا لا نصرّ على الحصول على جواب بالطبع .

ارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة ساخرة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى ضحكة مزهوة ظافرة متعالية ، سقطت لها قلوبهم بين أقدامهم ، قبل أن تميل برأسها إلى الأمام ، وتقول :

- ولِمَ لا ؟! الواقع أننى هنا لمنحكم الأجوبة اللازمة ؛ فأنا أعلم جيدًا أن عقول العلماء لا تهدأ أبدًا ، إذا ما أحاط بها أدنى قدر من الغموض .

وعادت تعتدل فى مقعدها ، وتلقى سيجارتها أرضًا ، ثم تسحقها بقدمها فى قوة ، وتتابع فى حزم :

- المكان الذى تجلسون فيه الآن ، يتناسب تمامًا مع طبيعتك وقدراتكم ، ومع ميولكم العلمية ، ومواهبكم المعروفة .. باختصار .. إنه مكان ذو سمة نووية .

ارتفعت حواجبهم فى دهشة ، وتبادلوا نظرة مفعمة بالتوتر والقلق والحيرة ، قبل أن يتمتم (دى مال) :

ـ معذرة يا سيِّدتى ، ولكن ما الذى تقصدينه بالسمة النووية للمكان ؟!

ابتسمت السنيورا ، وأشعلت سيجارة أخرى ، قبل أن تجيب :

ـ الذى أقصده هو أن هذه المنشأة ، تحوى كل ما تحتاجون إليه فى عملكم .. معامل مزوَّدة بأحدث وأفضل الأجهزة التكنولوجية والأدوات العلمية .. أجهزة كمبيوتر فائقة متطوِّرة ، من أسرع الأجيال المعروفة .. حجرات دراسة خاصة .. مكتبة علمية مزوَّدة بأحدث الكتب والمراجع ، فى كل التخصصات التى تحتاجون إليها .. وأخيرًا ، تحفة مركز السنيورا النووى .

وصمتت لحظة ؛ لتدير عينيها فى وجوههم ، قبل أن تضيف بعينين تتألقان جذلاً وظفرًا ، وقوة :

ـ مفاعل نووى كامل .

تفجَّرت الدهشة فى وجوههم بشدة ، وهتف (جولهى) :

ـ مفاعل نووى ؟! رباه ! أخبرينا يا سيِّدتى .. ما نوع العمل الذى تقصدينه بالضبط .

أجابته بسرعة :

ـ نفس العمل الذى تجيدونه أيها السادة .

ونفثت دخان سيجارتها فى قوة ، قبل أن تميل إلى الأمام ، وتضيف :

ـ صنع القنابل الذرية .

تراجع (جولهى) فى حركة عنيفة ، واتسعت عينا (دى مال) ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، فى حين أطلق (استروتيسكى) شهقة قوية ، وهتف :

ـ صنع القنابل الذرية ؟! هل جننت ؟!

لم تكد الكلمة تنطلق من بين شفتيه ، حتى انعقد حاجباها فى غضب هادر ، اشتعل فى عينيها كبركان ثائر ، وتحرَّكت يدها فى سرعة محنقة ، لتلقى سيجارتها المشتعلة فى وجهه ، وهى تصيح :

ـ إياك أن تنطقها أيها الوغد ، وإلا لقطع رجالى لسانك بلا رحمة ، وألقوا جثتك لذئاب الجبال .

شحب وجهه ، وامتقع فى شدة ، ولوَّح بيده فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ لم أقصد هذا يا سيِّدتى .. أقسم لك .. لم أقصده أبدًا .. إنما كنت أعنى أن صنع القنابل الذرية من

شأن الدول ، وليس الأفراد .

صاحت فى غضب ، وهى تهبّ من مجلسها فى حدة :

- ليس هذا من شأنك .. قم بعملك فحسب .

ارتبك الرجال الثلاثة فى شدة ، وتمتم (استروتيسكى) :

- صنع القنابل الذرية يحتاج إلى أموال طائلة يا سيدتى .

واندفع (دى مال) يضيف :

- ثم إن هناك أشياء لا يمكن الحصول عليها من الأسواق ، حتى بالنسبة لمن يمتلكون ثمنها .

أجابته فى صرامة غاضبة :

- ليس هذا من شأنك أيضًا .. ستبدءون عملكم هنا مع خامات متوافرة بالفعل ، فلدينا المفاعل النووى ، والماء الثقيل ، وكمية من البلوتونيوم المخصّب ، تكفى لصنع قنبلة ذرية واحدة ، وهذا كل ما أحتاج إليه فى المرحلة الأولى .. وعندما تصل شحنة اليورانيوم ، سيكون عليكم البدء فى تشغيل المفاعل ، لصنع القنابل الأخرى .. صحيح أنه لن يكون

باستطاعتنا صنع القنابل الهيدروجينية(*) ، ولكننا سنكتفى بصنع قنابل ذرية بسيطة ، كتلك التى ألقيت على (ناجازاكى) ، فى الحرب العالمية الثانية ، وهذا كل ما نحتاج إليه ، لبلوغ الهدف الذى نسعى إليه .

تمتم (دى مال) فى توتر بالغ :

- وأى هدف هذا ؟!

تألقت عيناها على نحو مخيف ، وجلت له قلوبهم ، وهى تجيب بصوت قوى صارم :

- السيطرة .

وازداد بريق عينيها ، وهى تضيف :

- السيطرة على اقتصاد العالم أجمع .

وهوت قلوبهم بين أقدامهم ..

وبعنف ..

★ ★ ★

(★) القنبلة الهيدروجينية : أساس القنبلة الذرية هو الانشطار ، أما فى القنبلة الهيدروجينية ، فعلى الرغم من أن المصدر موجود فى نواة الذرة ، إلا أن الأساس هو الاندماج الحرارى النووى ، أى الحصول على الطاقة الذرية ، نتيجة اندماج نويات العناصر الخفيفة ، عند وجود درجة حرارة عالية جدًا ، ومن الناحية النظرية ، فإن أكبر كمية من الطاقة ، هى التى يمكن إطلاقها من اندماج الديوتيريوم (نظير ثقيل للهيدروجين) ، والتريتيوم (نظير مشع للهيدروجين) .

انطلقت الطائرة المروحية الصغيرة على أرض المطار الخاص ، فى ضاحية (ريو دى جانيرو) ، وارتفعت إطاراتها عن الأرض بالفعل ، استعدادًا للإقلاع ، و ...

وفجأة ، ظهرت السيارة الرياضية الحمراء الصغيرة .

اقتحمت بوابة المطار فى عنف ، وانطلقت مباشرة نحو الطائرة ، وكأنها تعرف هدفها جيدًا ..

وفى ذهول مذعور ، هتف قائد الطائرة :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟!

استدار (فيكتور) و (ناجو) كل إلى الآخر فى حركة حادة عنيفة ، ثم حلّ الأوّل حزام مقعده ، واندفع نحو كابينة القيادة ، وهو يهتف :

ـ ماذا هناك ؟!

لم يكد يلقى سؤاله ، حتى وقع بصره على السيارة الرياضية الصغيرة ، التى تنطلق بانتحارية نحو الطائرة ، فاتسعت عيناه فى ذهول وارتياع ، وهتف :

ـ اللعنة !

أما (ناجو) ، فصاح فى الطيّار ، وهو يلكزه بفوهة مسدسه فى كتفه :

ـ ارتفع يا رجل .. ارتفع بسرعة .

صاح الطيار ، وهو يميل بالطائرة ، ويعيد إطاراتها إلى الأرض على الرغم منه :

ـ مستحيل ! لايمكننا الارتفاع بهذه السرعة .. سيختلّ توازن الطائرة لو فعلت .

صاح به (فيكتور) :

ـ ماذا تفعل إذن ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ أحاول تفادى تلك الطائرة اللعينة ، والانطلاق عبر مُمر آخر .

نطقها ، وهو ينحرف بالسيارة فى مناورة حادة ، جعلت الطائرة تميل على نحو بالغ الخطورة ، كاد يحطم مروحة جناحها الأيمن ، فصاح (فيكتور) فى حنق :

ـ اللعنة !.. لا أحد سيمنعنا من النجاح ، بعد أن بلغنا هذا الحد .

واندفع نحو باب الطائرة ، وجذب ذراع الطوارئ ، ليفتحه عنوة ، وهو ينتزع مسدسه الآلى من جيبه ، ويطلق نيرانه نحو السيارة فى غضب هادر ..

وانحنت (جيهان) بسرعة ، فى محاولة لتفادى الرصاصات المنهمرة كالمطر ، وهى تهتف فى سخرية :

- رباه !.. لماذا تنتهى مواعيدنا دائمًا بسيل من الرصاصات ، يا رئيسى العزيز ؟!

انحنى بدوره ، وهو يلتقط مسدسه الصغير ، مجيبًا :

- ربما تجذبها مغنطيسيتك القوية يا زميلتى المتحذلقة .

قالها ، ورصاصات (فيكتور) تخترق الزجاج الأمامى للسيارة ، وتحطمه فى عنف ، ثم اعتدل فى سرعة ، وأطلق رصاصاته بدوره ..

وانطلقت صرخة قوية من (فيكتور) ..

لقد أصابت رصاصات (أدهم) مسدسه ، وكفه اليمنى ، وذراعه ، وأطاحت به إلى داخل الطائرة فى عنف ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، انتزع (ناجو) من حزامه قنبلة يدوية ، وقذفها بكل قوته نحو السيارة ، صارخًا :

- أنت على حق يا رجل .. لا أحد سيمنعنا من

النجاح ، بعد أن بلغنا هذا الحد .

جاءت رميته قوية ودقيقة للغاية ، فتجاوزت القنبلة الزجاج الأمامى المحطم للسيارة ، وسقطت فى مقعدها الخلفى ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (فيكتور) مسدسه الآلى بيسراه ، وواصل إطلاق النار نحو السيارة ، صارخًا :

- لن نخسر أبدًا .. لن نخسر .

ومرة أخرى ، انهمرت الرصاصات على السيارة كالمطر ، و (جيهان) تصرخ :

- القنبلة يا (أدهم) .

مال (أدهم) بسرعة إلى المقعد الخلفى ، وانحنى يبحث عن القنبلة ، التى تدحرجت بين المقعدين الأماميين ، ولكنها انحشرت أسفل مقعد (جيهان) ، فهتف بها :

- القنبلة أسفل مقعدك .

كان حزام المقعد يعوق حركتها ، فهتفت فى عصبية زائدة :

- رباه !.. لن يمكننى أبدًا ..

لم يكن هناك وقت للبحث ، قبل انفجار القنبلة ، لذا

فقد انتزع (أدهم) قفل حزام مقعدها بحركة سريعة ، وهتف :

- اقفزى .

هتف بالكلمة ، وهو يفتح الباب المجاور لها ، ويدفعها خارج السيارة بالفعل ، وتركها تتدحرج فى عنف على أرض المطار الصغير ، وهو يدير عجلة القيادة نحو الطائرة ، ويهتف :

- فليكن أيها الأوغاد .. لندفع الموقف إلى الاشتعال .

وعلى الرغم من الرصاصات المنهمرة ، قفز بدوره خارج السيارة ، التى واصلت اندفاعها نحو الطائرة ، فصرخ (فيكتور) متراجعًا :

- يا للشيطان !.. القنبلة !

ومع آخر حروف كلمته ، دوى الانفجار ..

انفجرت السيارة الرياضية الحمراء فى عنف ، على مسافة عشرة أمتار فحسب من الطائرة ، التى ارتجّت فى قوة ، بفعل الموجة التضاغطية للانفجار ، ومالت إلى اليمين بشدة ، فاحتكّ طرف جناحها الأيمن بأرض المطار ، وتطايرت مع الاحتكاك شرارات عنيفة ، قبل أن ترتطم أجنحة المروحة اليمنى بالأرض ، وتتحطّم

على نحو مخيف ، جعل الطيّار يصرخ :

- الطائرة !!.. لقد حطمتما طائرتى .

لم يبال (فيكتور) و (ناجو) بحرف واحد من صرخته ، وإنما قفزت إلى رأسيهما فكرة محدودة فى اللحظة ذاتها ..

لقد فشلت محاولة الفرار من (ريو دى جانيرو) ..

ولن تغفر السنيورا هذا .

لن تغفره أبدًا .

ولأنهما يعلمان أن مصير الفشل ، فى شريعة السنيورا ، هو الموت ..

والموت وحده ..

فقد تحوّلا إلى وحشين كاسرين ، يدافعان بشراسة منقطعة النظير عن حياتهما ..

وعن نجاح مهمتهما ..

وانتزع (ناجو) (البروفيسير) من مقعده ، وهو يهتف بزميله :

- دورة الطائرة أعادتنا إلى جوار (الجيب) البيضاء .. دعنا نعد إليها ، ونفرّ من هنا ، قبل أن تتعقّد الأمور أكثر .

صاح به (فيكتور) ، وهو يطلق نيران مسدسه الآلى فى شراسة ، على الرغم من إصاباته :

- أسرع إليها بالرجل يا هذا ، وسأحمى ظهرك جيدًا .

قفز الاثنان من الطائرة ، وانطلق (ناجو) يعدو بحمله نحو (الجيب) البيضاء ، فى حين صرخ (فيكتور) فى جنون ، وهو يطلق نيران مسدسه الآلى نحو (أدهم) و (جيهان) :

- لن نفشل .. لن نفشل أبدًا .

رفعت (جيهان) كفيها لتحمى وجهها ورأسها ، وهى تنبطح أرضًا ، هاتفة :

- ماذا أصاب هؤلاء الأوغاد ؟! لقد أطلقوا نحونا طنًّا من الرصاصات حتى الآن !!

أجابها (أدهم) ، وهو يطلق نيران مسدسه بدوره :

- من الواضح أنهم يرفضون الفشل بشدة .

أصابت رصاصاته صدر (فيكتور) ، وانتزعته من مكانه فى عنف ، وألقت به ثلاثة أمتار إلى الخلف ، قبل أن يسقط مرتطمًا بالأرض فى قوة ، مطلقًا صرخة عالية طويلة ..

وقبل حتى أن يرتطم جسده بالأرض ، كان (أدهم)

يقفز من مكانه ، ويعدو بكل قوته نحو (ناجو) ، الذى بلغ (الجيب) البيضاء بالفعل ، وألقى جسد (البروفيسير) (ماتهايم) فى مقعدها الخلفى ..

ولكن فجأة ، هبَّ (فيكتور) واقفًا مرة أخرى ، وهو يطلق صرخة هادرة مخيفة ، وينتزع قنبلة من حزامه ، ويلقيها نحو (أدهم) ..

وهتفت (جيهان) ، وهى تدير مسدسها نحوه بسرعة :

- ربَّاه !.. الوغد يرتدى درعًا واقيًا من الرصاصات .

وانطلقت رصاصات مسدسها لتنسف رأسه ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أدهم) إلى الأمام ، محاولاً تفادى القنبلة ..

ودوَّى الانفجار عنيفًا ، فى قلب المطار الصغير ..

واندفع جسد (أدهم) إلى الأمام فى قوة ، مع عنف الانفجار ، ثم سقط أرضًا ، وتدحرج فى مرونة ، قبل أن يثب واقفًا على قدميه ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (ناجو) إلى مقعد القيادة ، وأدار المحرك ..

وانطلق ..

وبكل قوته وسرعته ، وإرادته الفولاذية ، انطلق (أدهم) يعدو خلف (الجيب) البيضاء ..

كانت جراح صدره وجسده تؤلمه بشدة(*) ، ولكنه انطلق خلف (الجيب) بسرعة مذهلة ، كما لو أن جسده كله قد تحوَّل إلى آلة للجرى ..

وكان من الممكن أن يلحق بالعربة ..

كان من الممكن أن يطلق رصاصاته على إطاراتها ؛ ليجبرها على التوقُّف ..

لولا ذلك التدخُّل المفاجئ ..

دورية من دوريات الشرطة الراكبة وصلت إلى المطار بغتة ، إثر الانفجارات وطلقات النيران ، التى بلغت عنان السماء ..

وللوهلة الأولى ، بدا لرجال الشرطة رجل يفرّ فى سيارة (جيب) بيضاء ، وخلفه آخر يعدو بسرعة مخيفة ، حاملاً مسدسًا آليًا ..

وبلا تردُّد أو تفكير ، أطلق رجال الشرطة رصاصاتهم ، نحو الرجل الذى يحمل المسدس ..

نحو (أدهم) ..

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

وعلى الرغم من الرصاصات ، التى تنطلق نحوه ، لم يتوقَّف (أدهم) عن العدو خلف (الجيب) البيضاء ، وكأنما انزاحت كل مشاعره وأحاسيسه جانبًا ، ولم يعد لديه سوى هدف واحد ..

الفوز فى هذا السباق الجنونى ..

وبأى ثمن ..

ورأت (جيهان) ما يحدث ..

رأته ، وأدركت أن (أدهم) فى موقف لا يُحسد عليه أبدًا ..

موقف بالغ الدقة والصعوبة .

لذا فقد تحرَّكت بمنتهى الحزم ..

ومنتهى السرعة ..

وانطلقت رصاصات مسدسها نحو رجال الشرطة ، على الرغم مما يعنيه هذا من مخاطر ، ومن تعقيدات أكثر فى المهمة ..

أما (أدهم) ، فقد رفع مسدسه ، والسيارة تنطلق أمامه بأقصى سرعتها ، والمسافة التى تفصله عنها تتزايد أكثر وأكثر ، ليطلق النار على إطاريها الخلفيين ، فى محاولة لمنعها من الفرار مع حملها الثمين ..

ولكن فجأة ، اخترقت إحدى رصاصات الشرطة فخذه الأيسر ..

ومع الإصابة المباغتة ، اختلّ توازن بطلنا ، واندفع جسده إلى الأمام ، ثم سقط أرضًا فى عنف ..

وفى نفس لحظة سقوطه ، تجاوز (ناجو) سيارة الشرطة ، وهو يعبر بوابة المطار ، صارخًا :

- النجدة .. إنه يحاول قتلى .. لقد حطّم الطائرة ، و..

قبل أن يتمّ عبارته ، اخترقت ذراعه رصاصة من رصاصات (جيهان) ، فصرخ فى ألم :

- اللعنة !

وزاد من سرعة السيارة أكثر وأكثر ، فى حين ضاعف رجال الشرطة من شراستهم فى القتال مع (أدهم) و (جيهان) ، وقد خُيّل إليهم أنهم يواجهون القتلة الحقيقيين ، مختطفى السائح الألمانى ..

ومع ابتعاد (الجيب) البيضاء عن المطار ، حاملة (البروفيسير) (مانهايم) ، وصلت ثلاث سيارات شرطة أخرى إلى المكان ..

وأصبح من الواضح أن (أدهم) و (جيهان) قد خسروا هذه الجولة ..

أو ربما يخسران ما هو أكثر خطورة ..
حريتهما ..
أو حياتيهما نفسها ..

★ ★ ★

تزايدت الحرارة على نحو ملحوظ ، فى ذلك اليوم ، وخصوصًا فى تلك الساعة من منتصف النهار ، وتصبّب عرق غزير على وجه السائق البدين للسيارة (الجيب) القديمة ، التى راحت تشقّ طريقها وسط سلاسل الجبال فى صعوبة ، على الرغم من أنها مصممة خصيصًا للطرق الوعرة ، وأخذ السائق يغمغم بسباب ساخط ، وهو يجفف عرقه بمنديل ضخم قذر ، قبل أن يقول للراكب الجالس إلى جواره ، والذى بدا أنيقًا للغاية ، على نحو لا يتناسب قط مع السيارة والمكان ، ولا حتى مع ملامحه الخشنة القاسية ، وعينيه الزرقاوين الباردتين ، أو شعره الأشقر البالغ القصر ، والذى جعله أشبه برجل جيش محنك سابق :

- يبدو أننى أخطأت فى طلب الأجر الخاص بهذه الرحلة ، فالطريق أكثر وعورة مما كنت أتصور .

أجابه الرجل بإسبانية سليمة ، تحمل لكنه شرقية خفيفة :

- عندما نصل إلى هدفنا ، ستنال أجرًا إضافيًا .

رمقه السائق البدين بنظرة جانبية سريعة ، قبل أن يشعل سيجارة رديئة الصنع ، ويقول :

- قل لى يا رجل : لماذا يذهب شخص أنيق مثلك إلى قلب الجبال ؟!

أجابه الرجل فى اقتضاب :

- للصيد .

هتف السائق فى سخرية مستنكرة :

- فى الجبال ؟! من تحاول أن تخدع يا رجل ؟! إنك تتحدَّث مع مواطن بوليفى أصلى ، يعلم جيدًا أن جبال بلاده لا تضم سوى قطعان الذئاب ، وعدد محدود من الحيوانات العادية ، التى تبدو وكأنها تتوالد خصيصًا ، لتتغذَّى عليها ذئابنا ، والتى لا يمكن أن تجذب انتباه هاو للصيد .

قال الرجل فى صرامة ، وهو يرمقه بنظرة قاسية :

- ومن أدراك أننى لا أسعى لصيد الذئاب نفسها ؟

ألقى السائق نظرة على الصندوق المعدنى الكبير ، فى المقعد الخلفى ، قبل أن يشير إليه بإبهامه ، قائلاً فى سخرية :

- تصطاد الذئاب بماذا ؟! بقنابل يدوية ؟! اسمع يا رجل .. هذا الصندوق الضخم ثقيل للغاية ، ومن الواضح أنه يحوى شيئًا بالغ الأهمية ، أو شيئًا ثمينًا للغاية ، وأنت فى طريقك لنقله إلى مكان ما .

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة شديدة :

- لا شأن لك بهذا .

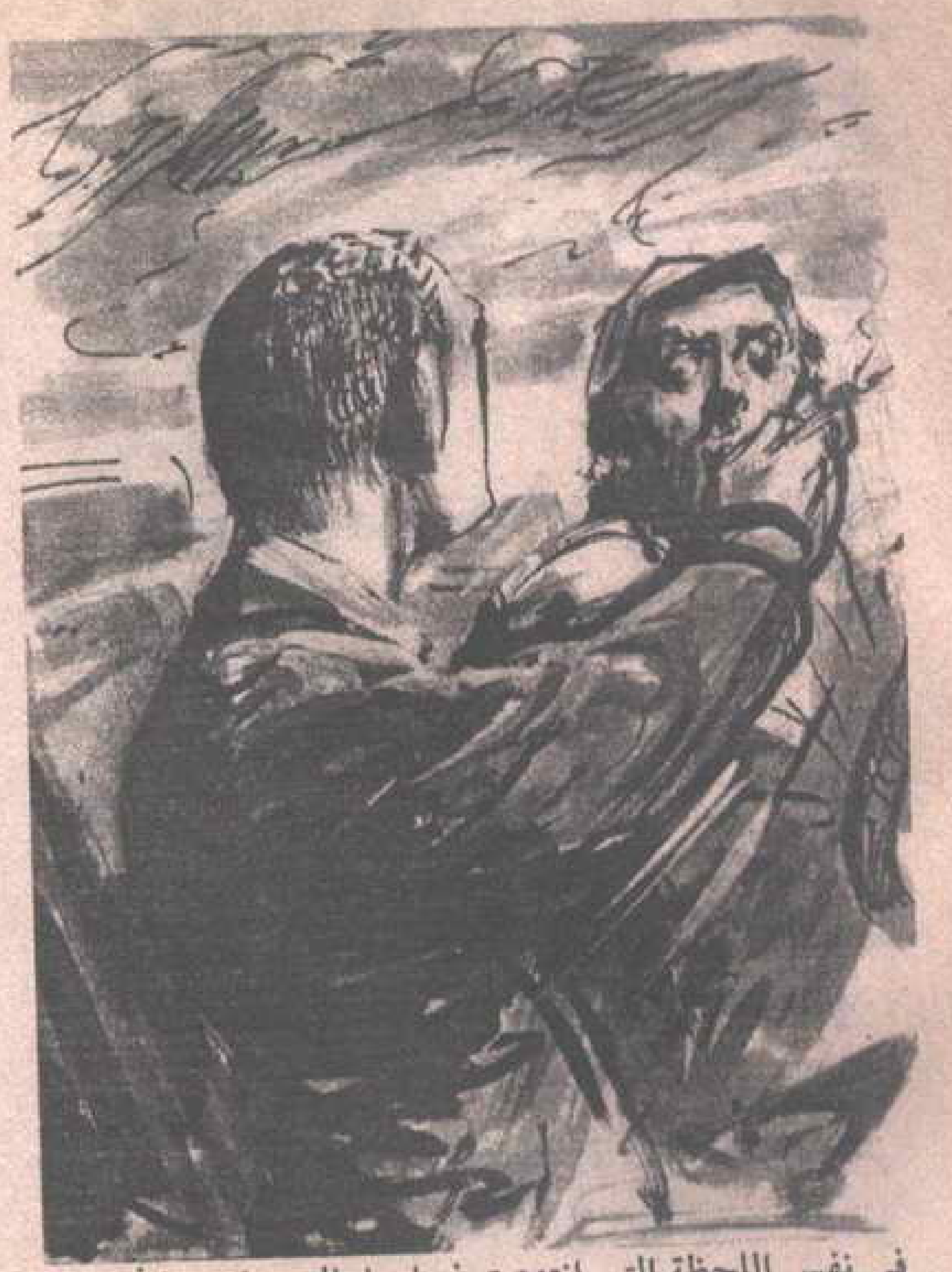
همَّ السائق بقول شىء آخر ، لولا أن أضاف الرجل فى غضب :

- ألق هذه السيجارة القذرة .

رفع السائق حاجبيه فى دهشة ، ونفخ الدخان ذا الرائحة النفاذة فى وجهه عمدًا ، وهو يقول فى حدة :

- هذه السيجارة القذرة هى هوايتى الوحيدة ، ولن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، تحرَّك الرجل فجأة بسرعة مدهشة ، فانتقلت قدمه اليسرى إلى موضع السائق ، وضغطت فرامل السيارة فى قوة ، فى نفس اللحظة التى انتزعت فيها يمناه السيجارة ، من بين شفتى السائق ، وألقتها عبر النافذة ، فى حين قبضت أصابع يسراه الفولاذية على معصم السائق ، ولوت ذراعه



فى نفس اللحظة التى انتزعت فيها يمناه السيجارة ، من بين شفتى السائق ، وألقتها عبر النافذة ..

خلف ظهره ، فانطلقت من حلقه صرخة ألم قوية ، وهو يهتف ، والسيارة تتوقف وسط الجبال فى عنف :

- ماذا تفعل يا هذا ؟! ستكسر ذراعى ..

قال الرجل فى صرامة مخيفة :

- فى المرة القادمة سأكسر عنقك الغليظ نفسه ، لو دسست أنفك فيما لا يعنيك .. هل تفهم ؟!

هتف السائق فى ألم شديد :

- أفهم يا رجل .. أفهم .

ترك الرجل معصمه بحركة عنيفة ، جعلته يطلق آهة ألم ثانية ، قبل أن يعقد حاجبيه فى شدة ، ويمط شفتيه ، ويعاود الانطلاق بالسيارة وسط الجبال ، دون أن ينبس ببنت شفة لنصف ساعة كاملة ، و ..

« توقف هنا .. » ..

ما إن نطق الرجل الأمر ، حتى ضغط السائق فرامل السيارة بحركة آلية ، وتوقف حيث أشار الرجل ، ثم التفت إليه فى توتر ، مغمغمًا :

- ماذا يوجد هنا ؟

رمقه الرجل بنظرة صارمة قاسية ، بعينيه الزرقاوين الباردتين ، قبل أن يقول فى صرامة مخيفة :

ـ أحضر الصندوق .

غادر السائق مكانه فى سرعة ، ونقل الصندوق خارج السيارة ، ثم اعتدل يلهث ، وهو يقول ، فى شىء من العصبية :

ـ هل من أوامر أخرى ؟!

ألقى إليه الرجل رزمة من الدولارات ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هيا .. ارحل .

التقط السائق رزمة النقود فى لهفة ، لم تمنعه من الشعور بالدهشة ، والرجل يأمره بالانصراف ، وتركه وحده ، فى منطقة مقفرة كهذه ، إلا أن الأمر لم يكن يعنيه كثيرًا ، مادام سينجو بجلده من هذا الأمر ، لذا فقد قفز داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا بأقصى سرعة ، تاركًا الرجل خلفه وسط الجبال ..

وفى برود شديد ، تابع الرجل السيارة ، حتى اختفت ، ثم ألقى نظرة على ساعته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، ورفع رأسه فى وقفة عسكرية صارمة ، ولاذ بالصمت تمامًا ، فى انتظار شىء ما ..

ومضى ربع ساعة من الصمت ، لم تبدر من الرجل خلاله أدنى حركة ، كما لو أنه قد تحوَّل إلى تمثال من الصخر ، حتى تناهى إلى مسامعه صوت خافت ، جعله يدير رأسه فى بطء إلى اليسار ، وازدادت عيناه ضيقًا ، وهو يراقب سيارة كبيرة ، تتجه نحوه مباشرة ، حتى توقَّفت على بعد متر واحد منه ، وهبط منها (لاماس) ، قائلاً فى مرح :

ـ مرحبًا أيها الرفيق (أندروفيتش) .. كيف كانت رحلتك إلى هنا ؟

أجابه رجل المخابرات الروسى السابق فى برود :

ـ لقد قطعت طرقًا أكثر مشقة فى السابق .

ثم أشار إلى الرجلين المرافقين لـ (لاماس) ، ثم إلى الصندوق المعدنى الكبير ، فأسرعا ينقلانه إلى السيارة ، و (لاماس) يسأله فى اهتمام :

ـ أهى الشحنة كاملة ؟!

اتخذ (أندروفيتش) مجلسه داخل السيارة ، وهو يجيب فى برود حازم :

ـ بالطبع .. الآن أصبح لديكم كل ما يكفى لصنع

دستة من القنابل الذرية شديدة التدمير ، بعد حصولكم على شحنة اليورانيوم هذه .

دلف (لاماس) إلى السيارة بدوره ، وأدار محركها ، وهو يقول فى ثقة ظافرة مزهوة :

ـ نعم أيها الرفيق الجنرال .. لقد صار لدينا كل ما نحتاج إليه .

وانطلق عائدًا بالسيارة بدوره ، إلى المركز النووى السرى ..

مركز السنيورا ..

* * *

عندما وصلت دورية الشرطة إلى مطار (باخوس) ، وبدأت فى إطلاق النار على (أدهم) ، تصور رجالها أن المهمة ستنتهى فى ثوان معدودة ؛ نظرًا لتفوقهم العددى ، وخاصة عندما نجحوا فى إصابة (أدهم) فى فخذه الأيسر ، وإسقاطه أرضًا ، إلا أنهم فوجئوا بالرصاصات تنهال عليهم من موضع آخر ..

من ناحية (جيهان) ..

ثم فوجئوا أيضًا بـ (أدهم) يثب واقفًا على قدميه ، على الرغم من إصابته ، والدماء التى تنزف منه فى غزارة ، ويطلق نيران مسدسه عليهم بدوره ..

وعندما تراجع رجال الشرطة ، ليحتموا بسيارتهم من الرصاصات ، انطلقت (جيهان) تعدو نحو (أدهم) ، هاتفة فى جزع :

ـ (أدهم) .. أأنت بخير ؟!

التقط يدها بحركة سريعة ، قائلاً فى حزم :

ـ تعالى .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، عندما انطلق يعدو بها فى سرعة ، والدماء تتطاير من جرح فخذه ، فهتفت :

ـ ماذا سنفعل ؟! لقد وصلت ثلاث سيارات أخرى ، وسيارتنا تحطمت عن آخرها ؟!

أجابها فى سخرية ، لم تتناسب أبدًا مع موقفهما الدقيق :

ـ أمر طبيعى .. ألست موهوبة فى تحطيم السيارات الرياضية بسرعة قياسية ؟!

أطلقت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

- صدقت .

انطلقت الرصاصات خلفهما ، من سيارات الشرطة الثلاث ، لتنتزعهما من سخريتهما ، وتضع أمامهما عالم الواقع فى قسوة ، فأشار (أدهم) إلى طائرة صغيرة ، وهو يقول :

- أعتقد أن هذه تكفى ، لتحلّ محلّ سيارتك المحطَّمة .

اندفعا نحو الطائرة الصغيرة ، والرصاصات تتطاير حولهما كالمطر ، وانطلقت سيارات الشرطة نحوهما بسرعة كبيرة ، وقفز (أدهم) إلى الطائرة ، وجذب (جيهان) إليها ، وهو يهتف :

- اربطى حزام مقعدك بإحكام ، فسننطلق بأقصى سرعة ممكنة .

قالها ، وضغط أزرار تشغيل الطائرة ، و ...

ولكن المحرِّك لم يستجب ..

أبدًا ..

لقد ظلَّ صامتًا ، ساكنًا ، وسيارات الشرطة تواصل

اندفاعها نحو الطائرة ، وتحيط بها ، ثم يقفز منها رجال الشرطة ، وأسلحتهم مشهورة فى أيديهم ..

وكان من الواضح أن دائرة الفشل قد اكتملت هذه المرة .

وبمنتهى الإحكام .

* * *



٤ ـ انفجـار ..

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتى (قدرى) ، وهو يتطلع إلى (منى) ، التى انهمكت فى تصفيف شعرها الطويل ، أمام تلك المرآة الصغيرة ، فى حجرتها بالمستشفى ، وهمس فى حنان جارف ، يحمل نبرة أبوية خالصة :

ـ مساء الخير يا عزيزتى .. كيف حال جميلة الجميلات ؟!

التفتت إليه بابتسامة رقيقة ، وهى تقول :

ـ مساء الخير يا (قدرى) .. قل لى : ألن تكف عن هذه المبالغات الرقيقة ؟! إنك تستطيع أن تصفنى بأى شىء ، إلا أن أكون جميلة الجميلات .

ضحك (قدرى) ، قائلاً :

ـ لماذا التواضع يا عزيزتى ؟! ألا تثقين فى جمالك وفتنتك ؟

ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة ، لمح فيها شيئاً من الحزن ، وهى تجيب :

ـ إنهما لن يبلغا نصف ما لدى (جيهان) .

ارتفع حاجباه لحظة فى دهشة ، قبل أن يخفضهما ، قائلاً :

ـ ليس من وجهة نظر (أدهم) .

بدا عليها التأثر ، وهى تتجه إلى مقعد وثير فى ركن الحجرة ، وتجلس فوقه فى بطء ، مغمغمة :

ـ لا يمكنك أن تتصور كم أشتاق إليه .

وافقها بإيماءة من رأسه ، وألقى جسده الضخم على مقعد صغير مسكين ، قائلاً :

ـ لست وحدك .. لقد تابعت عمليته الأخيرة فى (طوكيو) ، وتصورت أنه سيعود إلى هنا ، بعد النجاح الذى حققه هناك ، ولكن يبدو أن شيئاً ما قد حدث ، مما اضطرهم إلى إرساله فى مهمة جديدة ، جعلته ينطلق من (طوكيو) إلى مكان ما ، لن يمكننا معرفته قط ، مادمنا غير مشاركين فيه . أنت تعرفين القواعد .

هزت رأسها ، مغمغمة فى مرارة :

ـ نعم أعرفها .. قواعد السرية المطلقة ، التى لا تسمح سوى للمشاركين فى العمل بمعرفة تفاصيله ،

مثل (أدهم) و ... و (جيهان) .

نطقت الاسم الأخير فى ألم لا حدود له ، فعاد حاجباه يرتفعان فى ارتياع ، قبل أن يسألها مشفقًا :

- أما زلت تشعرين بالغيرة ؟

صمتت بضع لحظات ، اغرورقت عيناها خلالها بالدموع ، قبل أن تتمتم :

- لا يمكننى أن أكذب عليك أو أخدعك يا (قدرى) .. نعم .. إننى أشعر بالغيرة .. غيرة شديدة ، تكاد تلتهم مشاعرى كلها .

هتف :

- ولكنك تعلمين أن (أدهم) لا يحب سواك .

أجابته حزينة :

- نعم .. أعلم هذا ، ولكن لن يسعدنى أبدًا أن يمضى أكثر من نصف حياته مع أخرى ، تحمل له كل الحب والعشق والهوى .

ثم رفعت عينيها إليه ، مستطردة فى مرارة :

- ألا تعرف المثل القائل : القريب للعين قريب للقلب ؟!

أجابها فى سرعة وحزم :

- ليس مع (أدهم) .

تنهَّدت فى ألم ، قائلة :

- كلنا بشر .

قال فى إصرار :

- ولكن (أدهم) يختلف .

تنهَّدت مرة أخرى ، وشردت ببصرها وعينيها لحظات ، قبل أن تقول :

- من يدرى يا (قدرى) ؟ الأيام وحدها ستجيب عن هذا السؤال ..

نعم يا (منى) .. كلنا بشر ..

ولكن (أدهم) يختلف ..

وستجيب الأيام عن هذا وتثبته ..

الأيام وحدها ..

★ ★ ★

« مستحيل !.. »

تمتم طبيب الشرطة البرازيلى بالكلمة فى انبهار ، وهو يعتدل واقفًا ، بعد أن انتهى من تضميد إصابة (أدهم) ، والتفت إلى مفتش الشرطة (باندرياس) ، وهزَّ رأسه متابعًا بنبرات مبهوتة :

- لا يمكننى أن أصدق أنه فعل كل هذا ، وجسده يحمل تلك الإصابات !! إنها ليست الرصاصة التى استخرجناها من فخذه الأيسر فحسب ، ولكن هناك إصابة عنيفة فى صدره ، لم تلتئم تمامًا بعد ، كما أن جسده أشبه بساحة قتال ، شهدت حربًا ضروسًا .. آثار لعشر رصاصات على الأقل ، وعدد من الطعنات ، وشظايا انفجارات ؟! إننى لم أر فى حياتى كلها رجلاً على قيد الحياة ، يحمل كل هذا ؟

أجابه المفتش (باندرياس) ، وهو يشعل سيجارته :

- هذا لأنك لم تلتحق بالجيش قط يا رجل .

ثم أدار عينيه إلى (أدهم) ، مستطردًا بلهجة صارمة :

- أما زلت تصرّ على أنكما لستما المختطفين الحقيقيين ، وأن رجال الشرطة هم الذين سمحوا لأحد المختطفين بالفرار مع السائح الألمانى الفاقد الوعى ، بعد مصرع المختطف الثانى ؟!

ابتسمت (جيهان) فى سخرية ، مغمغمة :

- رائع .. إنك تجيد حفظ دروسك .

رمقها المفتش بنظرة غاضبة صارمة ، ثم تجاهلها

تمامًا ، وعاد يسأل (أدهم) :

- أما زلت تصرّ على هذا ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- بالتأكيد ، ولو أنك راجعت بصمات المختطف الصريع ، مع ملفات الكمبيوتر ، فلن يدهشنى أن تجد له ملفًا حافلاً .

نفث المفتش دخان سيجارته ، وقال فى اقتضاب صارم :

- لقد فعلت .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

- ولكن هذا لا يثبت شيئًا ، فكونه مجرمًا سابقًا ، لا يعنى بالضرورة أنه أحد المختطفين ، وملفكما النظيف ليس دليلاً على أنكما بريئين .

وازداد انعقاد حاجبيه ، ولوّح بكفه فى حدة ، مضيفًا :

- ثم إنكما أطلقتما النار على رجال الشرطة بالفعل ، وهذه جريمة بشعة هنا .

قال (أدهم) فى صرامة غاضبة :

- قل لى أيها المفتش : هل سنضيع الوقت فى

مناقشات سخيفة كهذه ، ونترك المختطف يفر بأسيره ؟!

هتف المفتش فى حدة :

ـ لا شىء يثبت أنه المختطف .

ثم مال نحو (أدهم) ، مستطردًا فى عصبية :

ـ ثم إنه هناك نقطة لا يمكننى فهمها أو هضمها .. كيف أمكنكما التوصُّل إلى المختطفين بهذه السرعة ، على الرغم من أن أجهزة التتبُّع لدينا كلها فشلت فى هذا .

ابتسمت (جيهان) مرة أخرى فى سخرية ، وألقت نظرة على (أدهم) ، الذى أجاب فى صرامة :

ـ الأمر لم يكن بالصعوبة التى تتصوَّرها أيها المفتش .. لقد وضعت افتراضًا جدليًا فى البداية ، وهو أن المختطفين ليسا من أبناء (الأرجنتين) ، وأنهما سيحاولان نقل البروفيسير (ماتهايم) إلى خارج البلاد .. وبأقصى سرعة ممكنة ، ولأنهما نفذا عمليتهما كمحترفين ، كان من الطبيعى أن أفكِّر بأسلوب يناسب المحترفين .

ونهض جالسًا ، وهو يتابع فى حزم :

ـ فما داما أجنبيين ، وينويان مغادرة البلاد بأقصى سرعة ، فهذا يعنى أن تنتظرهما طائرة على أهبة الاستعداد للإقلاع ، فور وصولهما إليها مع صيدهما ، وهكذا صار علىَّ أن أبحث عن طائرة تم استئجارها اليوم أو أمس ، وتستعد للإقلاع فى أية لحظة ، دون تحديد موعد سابق ، ولم يكن هذا عسيرًا ، مع استخدام الكمبيوتر ، عبر شبكة المعلومات العامة .

بدا الانبهار على وجه المفتش ، وهو يسأل :

ـ وماذا لو كانت هناك أكثر من طائرة ، تنطبق عليها المواصفات نفسها ؟ خاصة وأنه توجد ستة مطارات خاصة ، فى ضواحى (ريو دى جانيرو) ، ويمكن أن تكون الطائرة فى أى مطار منها !

هزَّ (أدهم) كتفيه ، مجيبًا فى سخرية :

ـ إنه مرض العصر يا رجل .. بطاقات الائتمان(*) ..

(*) بطاقة الائتمان : بديل عصرى للنقود ، وهى تحمل اسم صاحبها ، وتوقيعه ، مع رقم خاص به ، بحيث يمكنه استخدامها لشراء أى شىء ، حتى تذاكر الطيران ، وحجز حجرات الفنادق ، والمطاعم ، وللحصول على بعض النقود السائلة ، إذا ما اقتضى الأمر ، ومن أمثلتها بطاقة (فيزا) ، و(ماستركارد) و (أمريكان اكسبريس) .

تلك البطاقات البلاستيكية الصغيرة ، التى لم يعد باستطاعة أحد الاستغناء عنها ، أو التعامل بدونها .. صحيح أن الرجلين من المحترفين ، وأنهما يستخدمان بالطبع بطاقة ائتمان زائفة ، لا يمكن التوصُّل إليهما بوساطتها ، ولكن كان ينبغى أن ينتبها إلى ضرورة استخدام عدد من البطاقات المختلفة ، فلقد بحثت بوساطة الكمبيوتر عن رقم بطاقة ائتمان ، تم استخدامها لاستئجار سيارة سوداء كبيرة ، وطائرة خاصة صغيرة ، خلال أمس واليوم ، ولم يكن العثور عليها بالأمر العسير ، لذا فقد حدَّدنا موقع المطار والطائرة ، وأمكننا اللحاق بهما قبل إقلاعهما .

حدَّق المفتش (باندرياس) فى وجهه مبهوتًا ، وغمغم :

- بهذه البساطة .

أطلقت (جيهان) ضحكة ساخرة قصيرة للغاية ، قبل أن تقول بلهجة خاصة ، استفزَّت مشاعر المفتش بشدة :

- الأفكار العبقرية وحدها تتسم بالبساطة .

التفت إليها المفتش بحركة حادة ، قائلاً :

- ربما يا سيِّدتى .. ربما .. ولكننى أراهنكما على أن كل الأفكار العبقرية البسيطة ، التى يحويها رأساكما ، لن تكفى لإخراجكما من هنا .

حافظت (جيهان) على ابتسامتها الساخرة ، وأضافت إليها نظرة متحدية ، فى حين هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

استدار إليه المفتش (باندرياس) ، قائلاً فى حدة صارمة :

- إننى أتحداك .

عاد (أدهم) يهزّ كتفيه ، وهو يقول بلهجة هادئة :

- لا داعى للتحدّى ، فالأمر ليس مستحيلاً كما تتصوَّر .. انظر مثلاً إلى أسطوانة الغاز الصغيرة هذه على مكتبك .. إنك تستخدمها لإعادة ملء قدّاحتك فحسب ، ولكن هذا لا يعنى أنه لا يمكنها أن تفيد بوسيلة أخرى .

قالها ، وهو يلتقط أسطوانة الغاز فى بساطة ، فتابعه المفتش ورجاله فى حذر ، وأشار إليه أحدهم فى عصبية ، قائلاً :

ـ لو حاولت إلقاءها نحونا ، فسأطلق النار على رأسك بلا تردُّد .

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ إلقاءها نحوكم ؟! يا لها من فكرة طريفة ومضحكة يا رجل ! هذا النوع من العبوات لا يمكن أن ينفجر ، لمجرَّد إلقائه أرضًا .. إنه مصمَّم بحيث لا يمكن أن يندفع الغاز المختزن داخله ، إلا عند ضغطه فى المكان المخصَّص لهذا فى القدَّاحة .. انظر .

والتقط قدَّاحة المفتش ، من على سطح مكتبه ، وأمالها مشيرًا إلى الثقب الخاص بإعادة الملء ، وهو يتابع ، ويده تعمل فى سرعة ومهارة :

ـ أما لو انتزعنا تلك القطعة البلاستيكية الصغيرة ، من عبوة معطِّر الهواء ، وأضفناها إلى عبوة الغاز ، فهذا يكفى لنمتلك ما يمكن أن نُطلق عليه اسم ...

وبحركة سريعة مدهشة ، أشعل القدَّاحة أمام عبوة الغاز ، وهو يضغط القطعة البلاستيكية ، هاتفًا :

ـ قاذفة اللهب .

انطلق رذاذ الغاز المضغوط من العبوة ، واشتعل بلهب القدَّاحة ، واندفع كلسان من النار نحو رجال

الشرطة ، الذين فوجئوا بالحركة ، وباشتعال النيران فى ثيابهم ، فصرخ المفتش (باندرياس) فى سخط غاضب ، وهو يستلّ مسدسه من حزامه :

ـ اللعنة !.. كان ينبغى أن ..

أخرسه (أدهم) بلكمة كالقنبلة فى فكه ، انتزعته من مكانه ، وألقته مترين إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى عنف ، وقبل أن يسقط أرضًا ، كانت قدم (أدهم) تثب بسرعة مذهلة ، وتضرب أنف أحد رجال الشرطة الثلاثة الآخرين ، ثم تدور لتركل فك الثانى ، ثم تنطلق قبضته الثانية كالصاعقة ، لتنسف فك الثالث ..

وفى نفس لحظة سقوط الرجال الثلاثة ، اشتعل نظام الإطفاء الآلى فى الحجرة ، فانطلقت رشاشات المياه تغمر المكان ، فى نفس اللحظة التى تردَّد فيها صوت صفارة إنذار متقطِّعة ، وهتفت (جيهان) :

ـ يا إلهى !.. المياه ستتلف تصفيفة شعرى الجديدة .

هتف بها (أدهم) فى صرامة ، وهو يلتقط مسدس أحد رجال الشرطة :

ـ لو لم نتحرَّك بالسرعة اللازمة ، فستتلف

الرصاصات جسدك الجميل أيضًا .

قالها ، مشيرًا إلى الباب الخلفى للحجرة ، فاندفعت (جيهان) نحوه ، وتجاوزته إلى ممر خلفى ، وهى تسأله فى لهفة :

- (أدهم) .. هل تعنى هذا حقًا ؟!

اندفع خلفها إلى الممر ، وسألها ، وهما يعدوان جنبًا إلى جنب :

- أعنى ماذا ؟!

سألته بنفس اللهفة :

- هل تجد جسدى جميلاً بالفعل ؟!

التفت يحدّق فى وجهها بدهشة ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغمًا فى سخط :

- يا للنساء !

بلغا المخرج الخلفى لقسم الشرطة الرئيسى ، فى هذه اللحظة ، فدفع رتاجه بيده فى قوة ، ثم هتف :

- يا إلهى ! الرتاج مغلق بإحكام .

وتراجع مشهرًا مسدسه ، وهو يتابع فى صرامة :

- ابتعدى .

وقبل أن تتراجع فعليًا ، كانت رصاصات المسدس

الذى يحمله تنسف رتاج الباب ، ثم دفعه بقدمه ، وأشار إليها ، قائلاً :

- النساء أولاً .

اندفعت تغادر المكان ، إلى ممر خلفى ، بين مبنى الشرطة الرئيسى ، ودار البلدية ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها صفارات الإنذار الرئيسية للقسم ، معلنة فرارهما ، فاندفع (أدهم) خلفها بسرعة ، وانطلقا يعدوان عَبْر الممر إلى نهايته ، ما إن بلغاها ، حتى سمع صوت أحد رجال الشرطة يهتف :

- ها هما ذان .

كان يشير إليهما فى انفعال جارف ، دفع زملاءه إلى إطلاق النار نحو الممر فى غزارة عصبية ، اضطر معها (أدهم) و (جيهان) للتراجع ، وهتفت الأخيرة :

- وقعنا بين المطرقة والسندان .

أجابها (أدهم) فى حزم ، وهو يجذبها من يدها ، عائدين إلى الممر :

- إنها ليست أوّل مرة .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى برز ثلاثة من رجال

الشرطة ، من نفس المخرج الخلفى ، الذى عبراه منذ دقائق ، وكل منهم يصوّب إليهما مسدسه ..

وأصبحت عبارة (جيهان) دقيقة بالفعل ..

لقد وقعا بين المطرقة والسندان ..

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، أطلق (أدهم) و(جيهان) ، ورجال الشرطة الثلاثة رصاصاتهم ..

واندفع أحد رجال الشرطة إلى الخلف فى عنف ، مع الرصاصة التى أصابت صدره ، فى حين تحطّمت سبّابة الثانى بأخرى أطاحت بمسدسه ، وأطلق الثالث صرخة ألم قوية ، مع ثالثة اخترقت ساقه ..

أما (جيهان) ، فقد شعرت بعمود من اللهب يخترق ذراعها ، ويشعل فى جسدها نيران الألم ، التى جعلتها تهتف :

- آه .. اللعنة !.

أدرك (أدهم) إصابتها ، ولكنه كان يدرك أيضًا أن عشرات من رجال الشرطة سيظهرون من جانبى الممر ، وسيحاصرونهما بينهم ، وستنطلق من مسدساتهم عشرات الرصاصات ، فى حين لا يحمل أيهما حتى خزانة رصاصات إضافية ، لذا فقد عاد

يجذبها من يدها فى قوة ، هاتفًا :

- اتبعينى .

كان يعود بسرعة مدهشة ، وهى تتبعه مرغمة ، مع أصابعه الفولاذية ، التى تقبض على معصمها ، حتى بلغا بابًا خلفيًا لدار البلدية ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها عدد من رجال الشرطة البرازيلية ، عند نهاية الممر ، وصرخ أحدهم :

- توقفا وإلا ..

لم يمهله (أدهم) ليتمّ عبارته ، وإنما أطلق النار على رتاج باب دار البلدية الخلفى ، قبل أن يضربه بقدمه ، فينفتح الباب على مصراعيه ..

وعندما انطلق سيل رصاصات الشرطة ، كان يدفع (جيهان) أمامه إلى الداخل ، ويندفع خلفها ..

وعلى الرغم من إصابتها وآلامها ، غمغمت (جيهان) فى سخرية ، وهما يقفزان فى درجات السلم الخلفى قفزًا ، إلى الطابق الثانى من دار البلدية :

- عظيم .. لقد حصلنا على تأجيل مؤقّت للموت .. متى سيظفرون بنا فى رأيك ؟! بعد ساعة كاملة أم أقلّ ؟!

جذبها إلى بهو ضخم ، يؤدى إلى حجرات المبنى الرئيسية ، وهو يقول فى حزم :

- أخبرتك أكثر من مرة أننى أكره روح اليأس .

تناهى إلى مسامعهما وقع أقدام تصعد السلم خلفهما ، وأخرى تقتحم المبنى من بوابته الرئيسية ، فقالت بسخرية عصبية :

- بالطبع .. فكل ما حولنا يدعو إلى التفاؤل .. أليس كذلك ؟! إننا منهكان ، ونحمل مسدسين نفدت رصاصاتهما تقريبًا ، ورجال الشرطة يحاصروننا من كل جانب .. أمر منعش للغاية .

تجاهل قولها هذه المرة ، وهو يتلفت حوله ، ووقع الأقدام يقترب من الجانبين ، مع صيحات وأوامر تدعو إلى محاصرتهما والقضاء عليهما ، ثم لم يلبث أن جذبها نحو مشرب صغير لرواد المكان ، وهو يقول :

- عظيم .. ربما عثرنا على بعض الأسلحة هنا .

هتفت بدهشة مستنكرة :

- هنا ؟! فى المشرب ؟! قل لى أيها العبقرى : بمَ تنوى مقاتلة رجال الشرطة ؟! بقنابل الشاى أم بقاذفات القهوة ؟!

لم يتجاوب مع سخريتها ، وهو يدفعها داخل المكان ، ثم يتجه إلى المبرِّد الكبير داخله ، قائلا :

- لو أن معلوماتى القديمة عن البرازيليين ما زالت صالحة للعمل ، فى هذه الأيام ، فسنجد هنا بعض ما نحتاج إليه .

راقبته فى صمت متسائل ، وهو يفتح المبرِّد ، وأدهشتها علامات الارتياح ، التى ارتسمت على وجهه فى وضوح ، وهو يقول :

- عظيم .

اشرأبت بعنقها ؛ لتلقى نظرة داخل المبرِّد ، وأدهشها ألا تجد سوى كمية من زجاجات المياه الغازية ، وزجاجات المشروبات الروحية الصغيرة ، فسألت فى توتر :

- أهذه أسلحتك ؟!

التقط زجاجة من زجاجات المشروبات الروحية ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. هل تعرفين هذا المشروب ؟! إنه من المحرمات ، التى تحوى كمية من الكحول(*) ،

(*) الكحول : مركَّب عضوى يتكوَّن جزيؤه من الكربون والهيدروجين والأكسجين ، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من مجموعات الهيدروكسيل .. وتنقسم الكحولات إلى أحادية الهيدروكسيل ، مثل كحول (الميثيل) ، أو ثنائية الهيدوركسيل ، مثل (الجليكول) ، أو ثلاثية مثل (الجلسرين) ، وتختلف الكحولات فى خواصها الفيزيقية والكيميائية ، كما تختلف بين سوائل وجوامد ، فى درجات الحرارة العادية .

تبلغ أكثر من ستين فى المائة من تركيبها ، ولو أنك نزعت سدادتها هكذا ، ثم دسست فى فوهتها قطعة من القماش الجاف ، من مفرش المائدة هذا ، ستتحوّل إلى شىء مختلف تمامًا .

كان يتحدّث ، وهو يقرن القول بالفعل ، وينزع سدادة الزجاجة الصغيرة ، ثم يدسّ فى فوهتها قطعة قماش ، انتزعها من مفرش المائدة المجاورة ، وبعدها أخرج من جيبه قدّاحة المفتش (باندرياس) ، مستطردًا :

- ستتحوّل إلى قنبلة (مولوتوف)(*) .

قالها ، وأشعل قطعة القماش بالقدّاحة ، ثم اندفع نحو باب المشرب ، وألقى الزجاجة نحو رجال الشرطة ، الذين بلغوا البهو بالفعل ..

ودوى انفجار محدود فى المكان ..

انفجرت الزجاجة الصغيرة ، وتناثرت محتوياتها المشتعلة على مساحة واسعة ، وعلقت النيران بثياب

(*) يطلق على هذا النوع من القنابل البدائية اسم قنابل (مولوتوف) ، نسبة إلى مبتكرها السوفيتى الجنرال (مولوتوف) ، فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

بعض رجال الشرطة ، الذين راحوا يتراجعون فى ذعر ، ويطلقون النار فى عصبية ، فى حين قفز (أدهم) داخل المشرب متفاديًا رصاصاتهم ، وهو يقول :

- أرأيت يا زميلتى العزيزة ؟! المعرفة والإرادة تمنحانك سلاحًا ، فى كل زمان ومكان .

حدّقت لحظة فى وجهه ، بكل ما يعتمل فى نفسها من إعجاب وانبهار ، فى حين انتزع هو سدادة زجاجة أخرى ، ودسّ قطعة القماش فى فوهتها ، وتابع وهو يشعلها بالقدّاحة :

- والآن ، هل يمكنك التعاون فى هذا الشأن ؟!

قفزت من مكانها تنتزع سدادات الزجاجات ، وتدس فيها قطع القماش ، فى حين أخذ هو يشعلها بالقدّاحة ، ويلقيها على رجال الشرطة ..

وساد الهرج والمرج ، مع النيران التى انتشرت فى دائرة واسعة ، على الرغم من ضعف ألسنة اللهب ، وسرعة خبوّها(*) ، وراح رجال الشرطة يفرغون

(*) قنابل (مولوتوف) العادية تستخدم البنزين ، أما الكحول فهو سريع التطاير ومحدود التأثير .



فى حين قفز (أدهم) داخل المشرب متفاديًا رصاصتهم ..

توترهم وعصبيتهم من فوهات أسلحتهم ، مع مئات الرصاصات ، التى انطلقت نحو المشرب ..

حتى وصل المفتش (باندرياس) ..

كان قد استعاد وعيه ، بكدمة زرقاء كبيرة فى فكه ، وغضب لا حدود له فى أعماقه ، ولقد تضاعف هذا الغضب ألف مرة ، عندما شهد ذلك الموقف ، فصرخ بصوت هادر :

ـ ماذا تفعلون أيها الأغبياء ؟! كيف تعجزون عن اقتناص رجل وامرأة ؟!

أجابه أحد رجال الشرطة فى توتر بالغ :

ـ إنهما شيطانان يا سيدى المفتش .. لقد أطلقنا عليهما طنًا من الرصاصات ، ولكنهما يواصلان قذفنا بتلك القنابل الحارقة .

انعقد حاجبا المفتش بشدة ، وتقافزت شياطين الغضب فى عينيه ، وهو يتابع الموقف ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

ـ فليكن .. مادامـا يميلان إلى استخدام القنابل ، فلنمنحهما إياها .

ثم التفت إلى مساعده ، مضيفًا فى حزم :

- أحضر المدفع .

ارتفع حاجبا المساعد فى دهشة ، وغمغم :

- المدفع ؟! هنا ، فى دار البلدية ؟!

صرخ (باندرياس) فى غضب :

- قلت لك : أحضر المدفع .

حدّق مساعده لحظة فى وجهه ، ثم قال :

- كما تأمر يا سيّدى .

قالها ، وأسرع لتنفيذ الأمر ، فى حين عاد (باندرياس) يعقد حاجبيه ، ويتابع رجاله ، وهم يطلقون النار على المشرب ، الذى كاد جداره يتهدّم ، من كثرة ما أصابه من رصاصات ، فى حين يواصل (أدهم) و (جيهان) إلقاء قنابلهما المحدودة على نحو منتظم تقريبًا ، وغمغم فى حنق :

- الأمور تشتعل هنا الآن ، وستشتعل فى وجهك فى الصباح يا (باندرياس) ، عندما يوبخك الرؤساء على ما حدث .. اللعنة !.. أقسم أن يدفع هذان اللعينان الثمن !.. أقسم بكل عزيز لدىّ .

انتهى من قسمه ، مع وصول مساعده ، حاملاً المدفع الصغير ، فتألّقت عينا المفتش (باندرياس) ،

وهو يشير إلى المشرب ، قائلاً فى حدة :

- ماذا تنتظر يا رجل ؟! هيّا .. انسفهما .

ارتكز مساعده بإحدى ركبتيه على الأرض ، وثنى الثانية أمامه ، وهو يحمل المدفع على كتفه ، ويصوّبه إلى باب المشرب فى إحكام ، فى حين غمغم المفتش فى انفعال جارف :

- لا تخطئهما .. أريد إصابتهما من الطلقة الأولى .

اندفعت فى تلك اللحظة زجاجة مشتعلة ، عبر باب المشرب ، وانفجرت على مقربة منهما ، فصرخ (باندرياس) :

- الآن .

ومع صرخته ، ضغط المساعد زناد المدفع ..

وانطلقت القذيفة نحو الهدف ..

وأمام عيون الجميع ، عبرت باب المشرب ، ثم دوى الانفجار ..

انفجار قوى عنيف ، كفيل بالقضاء على كل صور الحياة فى المكان ..

كلها بلا استثناء .

★ ★ ★

٥ - الجليد ..

ارتسمت ابتسامة عذبة جذابة ، على شفتى السنيورا ، وهى تستقبل الروسى (يورى أندروفيتش) فى حجرتها الخاصة ، فى المقر الجبلى الجديد ، وخرجت كلماتها ناعمة آسرة ، وهى تصافحه ، قائلة :

- مرحبًا بك أيها الرفيق (أندروفيتش) .. أرجو ألا تكون رحلتك إلى هنا قد أنهكتك .

التقط الروسى كفها بين أصابعه ، وانحنى يقبّل أناملها فى رقة لا تتناسب مع ملامحه الخشنة ، أو تتفق مع نبرات صوته الباردة كالثلج ، وهو يقول :

- إننى مستعد للسير حافيًا على الجمرات الملتهبة ، لو أن هذا سيقودنى فى النهاية إليك يا أميرتى .

أطلقت السنيورا ضحكة عالية ، وهى تسحب يدها من بين أصابعه ، قائلة :

- من الواضح أنك قد تغيّرت كثيرًا أيها الرفيق (أندروفيتش) .. تُرى هل أثَّر انهيار الاتحاد السوفيتى على رجاله إلى هذا الحد ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً بنفس اللهجة الباردة :

- من المؤكد أن لهذا تأثيرًا قويًا على الجميع يا سنيورا ، وإلا لما أمكنك الحصول على اليورانيوم من مفاعلاتنا القديمة .. وبالمناسبة .. لم يعد أحد يستخدم لفظ (الرفيق) هذا الآن .. يكفى أن تخاطبينى باسمى ، كما يفعل أصدقائى .

رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة ، وهى تقول فى خبث :

- أصدقاؤك ؟! أمن الممكن أن يكون لمثلك أصدقاء يا (يورى) ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

- لفترات محدودة يا سنيورا .

ثم اتخذ لنفسه مقعدًا وثيرًا ، قبل أن يسأل فى لهجة جافة ، لا تحمل أية اهتمامات أو انفعالات :

- هل اكتمل الأمر بالنسبة لك ، كما يقول معاونك (لاماس) ؟!

جلست على المقعد المجاور له ، وهى تقول فى لهجة ، حملت شيئًا من توترها :

- ليس تمامًا .. لدينا الآن كل الخامات اللازمة

لصنع القنابل الذرية ، وكل المعدات كذلك ، ونحن فى انتظار وصول العنصر البشرى الأخير ؛ لنبدأ العمل فعليًا .

التقى حاجباه الكثان ، وهو يقول :

ـ العنصر البشرى الأخير ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. خبير الهندسة النووية ، (مارك مانهايم) .

اعتدل يسأل :

ـ ولماذا لم يصل حتى الآن ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ المفترض أن يكون فى طريقه إلى هنا الآن .. لقد تمَّ كل شىء على ما يرام ، بالنسبة للخطوات الأخرى ، وينبغى أن تتم عملية اختطافه بالنجاح نفسه .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يسألها :

ـ كم رجلاً أرسلت لإحضاره ؟

أجابت ، وهى تلتقط سيجارة طويلة من علبتها :

ـ أرسلت رجلين .

لمحت شيئًا من الاستنكار فى عينيه ، فاستدركت فى سرعة :

ـ من أفضل رجالنا .

صمت لحظة أخرى ، لم تستطع لمح أية انفعالات أخرى ، فى وجهه أو ملامحه ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ أتعشّم أن يفلحا .

همت بتأكيد براعة الرجلين ، عندما دلف (لاماس) إلى حجرتها ، وهو يحمل الهاتف ، قائلاً فى توتر عصبى ملحوظ :

ـ سنيورا .. إنه (ناجو) ، يتحدث من (ريو) .. يبدو أن الأمور لم تسر على ما يرام هذه المرة .

انعقد حاجباها فى غضب شديد ، واختطفت الهاتف من يده فى حدة ، فى حين عاد الروسى يعتدل ، قائلاً ببروده الثلجى المستفز :

ـ هكذا ؟!

أحنقها قوله ، وهى تضع السمّاعة على أذنها ، قائلة فى حدة :

ـ ماذا حدث ؟!

أتاها صوت (ناجو) ، شديد العصبية والتوتر والقلق ، وهو يقول :

- سيِّدتى .. الأمور لم تسر كما ينبغى هذه المرة ..
اشتعلت عيناها غضبًا ، وهى تقول فى حدة :
- مـاذا تعنـى أيها الغبـى ؟!.. هل فشلتمـا فى اختطاف (ماتهايم) ؟!
أجابها (ناجو) مرتجفًا :
- بل فعلناها يا سيِّدتى .. ظفرنا بالرجل ، وها هو ذا يرقد إلـى جوارى ، بعد أن أفقدتـه الوعـى للمـرة الخامسة .. بل وكدنا نقلع به من مطار (باخوس) ، لولا الرجل والمرأة .
لم تكد تسمع هذه العبارة الأخيرة ، حتى انتفض جسدها فى عنف ، على نحو جعل الروسـى يميل إلى الأمام ، ويعقد حاجبيه فى شدة ، متطلعًا إليها فى انتباه ، وانقبضت أصابعها على سمَّاعة الهـاتف ، حتى كـادت تعتصرها ، واتسعت عيناها فى شـدة ، وانعقد لسانها لربع دقيقـة كاملـة ، جعلت (لامـاس) يتقدَّم خطوة إلى الأمام ، ويسألها فى قلق :
- ماذا حدث يا سنيورا ؟!
فى نفس اللحظة التى هتـف فيهـا (نـاجو) ، عبر أسلاك الهاتف :

- سيِّدتى .. هل تسمعيننى ؟!
انتزعتهـا عبـارة (نـاجو) من انفعالهـا الجـارف ، فسألته بتوتر شديد :
- أى رجل وأية فتاة يا (ناجو) ؟
هتف الرجل فى عصبية :
- لقد ظهرا بغتة ، وطاردا الطائرة ، قبيل إقلاعهـا مباشرة ، وقاتلا كشيطانين ، و ...
قاطعته بصيحة هادرة :
- أى رجل وأية فتاة أيها الغبى .
ارتبك (ناجو) ، وهو يقول :
- لست أدرى يا سنيـورا .. لم أشـاهدهما قط من قبل .. إنه رجـل وسيم ، قـوى ، عريض المنكبين ، سريع الحركة إلى حد مذهل ، ودقة إصابته للهدف لـم أشاهد مثلها قط ، أما الفتاة ، فهى ..
لم تسمع السنيورا باقى حديثه ، وهى تعض شـفتها بأسنانها ، هاتفة فى غيظ وحنق وعصبية :
- اللعنـة !.. إنه (أدهم) .
لم يفهـم (لامـاس) الموقـف ، فأمـال رأسـه فـى حيرة ، وهو يتطلَّع إليها ، على عكس الروسى ، الذى

لم يكد يسمع اسم (أدهم) ، حتى ازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، وتحرَّك على مقعده حركةً عصبيةً ، ومال بجسده كله إلى الأمام ، وكأنما يرغب فى الإنصات إلى حديث (ناجو) ، الذى قال فى دهشة :

ـ (أدهم) ؟! أهذا اسمه ؟!

أجابته السنيورا فى عصبية بالغة ، لم يعهدها فيها من قبل قط :

ـ لا شأن لك بهذا يا رجل ، أخبرنى .. أين أنت الآن ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يجيب :

ـ إننى هنا ، فى ذلك المنزل الاحتياطى ، الذى استأجرناه فور وصولنا ، ولكننى مصاب برصاصة فى ذراعى ، وأحتاج إلى إسعاف عاجل ، و ...

قاطعته فى صرامة شديدة :

ـ إياك أن تغادر ذلك المنزل الآمن .. ابق هناك حتى أرسل من يتسلَّم الرجل منك .

هتف بها :

ـ كيف يا سيِّدتى ؟! إننى أنزف بشدة ، وأشعر بضعف متزايد ، ثم إن الوقت الضائع أفسد الأمور

تمامًا ، فالتلفاز يذيع الآن أوصاف السائح ، ورجال الشرطة أغلقوا كل مداخل ومخارج (ريو دى جانيرو) ، ويقومون بتفتيش كل السيارات المغادرة ، وكل المطارات العامة والخاصة .. لقد أصبح الخروج من هنا مستحيلاً يا سنيورا ..

صرخت بكل انفعالاتها :

ـ لا يوجد مستحيل !.. كل شىء ممكن .. كل شىء .

ثم أضافت فى حدة عصبية ، وهى تمسك سمَّاعة الهاتف بكفيها فى قوة :

ـ اسمع يا (ناجو) .. أطع أوامرى بلا مناقشة .. سأرسل إليك أهم رجال منظمتنا فى (ريو) ، وسيصطحب معه طبيبًا معالجًا ، ولكن إياك أن تغادر موقعك قبل هذا .. هل تفهم ؟!

أجابها الرجل فى توتَر لا محدود :

ـ كما تأمرين يا سنيورا .. كما تأمرين .

أنهت المحادثة فى حدة ، وهى تهتف ساخطة :

ـ اللعنة !.. لماذا ظهر الآن ؟! لماذا ؟!

سألها (لاماس) ثانية فى توتر :

ـ ماذا حدث يا سنيورا ؟!

أجابته فى عصبية :

- (ناجو) محاصر فى (ريو) .. استقلَّ طائرة خاصة ، مع فريق من أقوى رجالنا إلى هناك ، و ...

قاطعها (أندروفيتش) بغتة :

- إنه (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟!

استدارت إليه فى حركة حادة ، قائلة :

- أتعرفه ؟!

رفع (أندروفيتش) أحد حاجبيه ، وخفضه بسرعة ، وهو يقول بلهجته الباردة كالثلج :

- أنسيت أننى رجل مخابرات سابق يا عزيزتى ؟! كل رجل مخابرات فى العالم يعرف (أدهم صبرى) بالتأكيد .. إنه ضابط المخابرات الوحيد ، الذى اكتسب صفة العالمية والعلانية ، دون أن يؤثِّر هذا فى عمله أو قدراته .. إنه الأسطورة الحية فى عالمنا الغامض المثير .

وألقى نظرة باردة على (لاماس) ، قبل أن يتابع :

- وأنت تعلمين مثلى أن أى فريق تقليدى لن يمكنه الظفر به قط ، مهما بلغت قوة رجاله وبراعتهم .

أشعلت سيجارتها ، وهى تقول فى عصبية :

- لا يمكننى أن أسمح له بدس أنفه فى عملى هذه المرة .. لقد أخطأت عندما استدرجته للدخول فى صراع معى ، فى المرة السابقة ، فقد كان هذا سببًا فى تحطيم عملى كله(*) ، أما فى هذه المرة ، فلابد من إبعاده عن العملية بأى ثمن .. إنها عملية القرن ، وفشلها يعنى خسارة رهيبة ، تتجاوز ميزانية دولة كاملة .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

- أنا لم أقل إننا سنتركه يدس أنفه فى العملية ، ولكن ليس من الحكمة أيضًا أن نقاتله بأسلوب غير مناسب ، ولا يتفق مع قدراته وبراعته ، وإلا لأصبحت الخسارة فادحة .

نفثت دخان سيجارتها فى توتر ، وهى تسأله فى عصبية :

- وماذ تقترح يا (يورى) ؟

شدَّ الروسى قامته ، وتألَّقت عيناه الزرقاوان على نحو عجيب ، قبل أن يجيب :

(*) راجع قصة (الأفعى) .. المغامرة رقم (١٠٦)

ـ أقترح أن يتولى العملية شخص لديه الخبرة اللازمة ، للتعامل مع رجل مثله ، والتصدى له .. شخص يفهم جيدًا وسائل المخابرات ، وتعايش طويلاً معها ، ودرس شخصية (أدهم صبرى) كما لم يدرسها غيره ..

وتراقصت على شفتيه ابتسامة شبحية ، وهو يضيف :

ـ شخص مثلى .

انعقد حاجبا (لاماس) فى شدة ، وأطلّ من عينيه غضب مكبوت ، فى حين رفعت السنيورا أحد حاجبيها ، وهى تتطلّع إلى (أندروفيتش) ، وعقلها يعمل بسرعة مدهشة ، ثم لم تلبث أن نفثت دخان سيجارتها ، وقالت :

ـ فليكن يا (يورى) .

انتفض جسد (لاماس) ، وهتف مستنكرًا :

ـ سنيورا .. هذا الرجل ليس ..

استدارت إليه كنمرة شرسة ، وهى تهتف :

ـ اخرس .. إياك أن تناقش قراراتى أو تعارضها .. هل تفهم ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (لاماس) وغضبه ، وهو يتراجع مغمغمًا :

ـ معذرة يا سنيورا .. معذرة .

تجاهلته السنيورا تمامًا ، والتفتت إلى (يورى) ، قائلة فى حزم :

ـ سأمنحك فريقًا من أفضل رجالى يا (يورى) ، وكل ما تحتاج إليه من إمكانات ، على أن تمنحنى نتيجة محدودة ، وبأقصى سرعة ممكنة .

ومالت نحوه ، مضيفة فى صرامة :

ـ حياته .. حياة (أدهم صبرى) .

ولم يجب (يورى أندروفيتش) ..

فقط ابتسم فى ثقة ..

وكانت ابتسامته باردة ..

باردة كجليد (سيبيريا) الرهيب ..

★ ★ ★

« أحضر المدفع .. »

انطلق هتاف المفتش (باندريوس) فى قوة ، فبلغ مسامع (أدهم) و(جيهان) ، وانعقد حاجبا الأخيرة ، وهى تقول فى توتر :

ـ (أدهم) .. سيستخدمون مدفعًا .

أجابها ، وهو يلقى نحوهم قنبلة (مولوتوف) جديدة :

ـ لقد سمعت .

قالها ، وتلفتت حوله فى اهتمام ، بحثًا عن مخرج ..

كان المشرب واسعًا ، له ثلاث نوافذ ، تطلّ على الساحة الداخلية للمبنى ، وكلها مغلقة بقضبان فولاذية قوية ، ويعتمد فى تهويته على فتحات صغيرة ، موزّعة فى المكان ، لا تكفى حتى لمرور طفل صغير ..

وفى يأس واضح ، غمغمت (جيهان) :

ـ من الواضح أنه لا يوجد مخرج من هنا .

التقط (أدهم) زجاجة جديدة ، أشعل فتيلها ، وألقاها نحو رجال الشرطة ، وعقله يعمل بسرعة مدهشة ..

لم يكن هناك مخرج طبيعىّ للمكان بالفعل ، سوى الباب الذى يلقى منه قنابله ، والذى يطلق رجال الشرطة النار نحوه فى غزارة ..

وليس من المنطقى أن يحاولا الخروج منه ، ومقاومة هذا الجيش الثائر من رجال الشرطة ..

وحتى لو حاولا الاستسلام ، لن يكون هذا ممكنًا أو بسيطًا ..

فرجال الشرطة الثائرون سيطلقون النار فور رؤيتهما ، وسيدفعهم غضبهم إلى الثأر لزملائهم ، والانتقام لما لقوه من هزيمة ومهانة ..

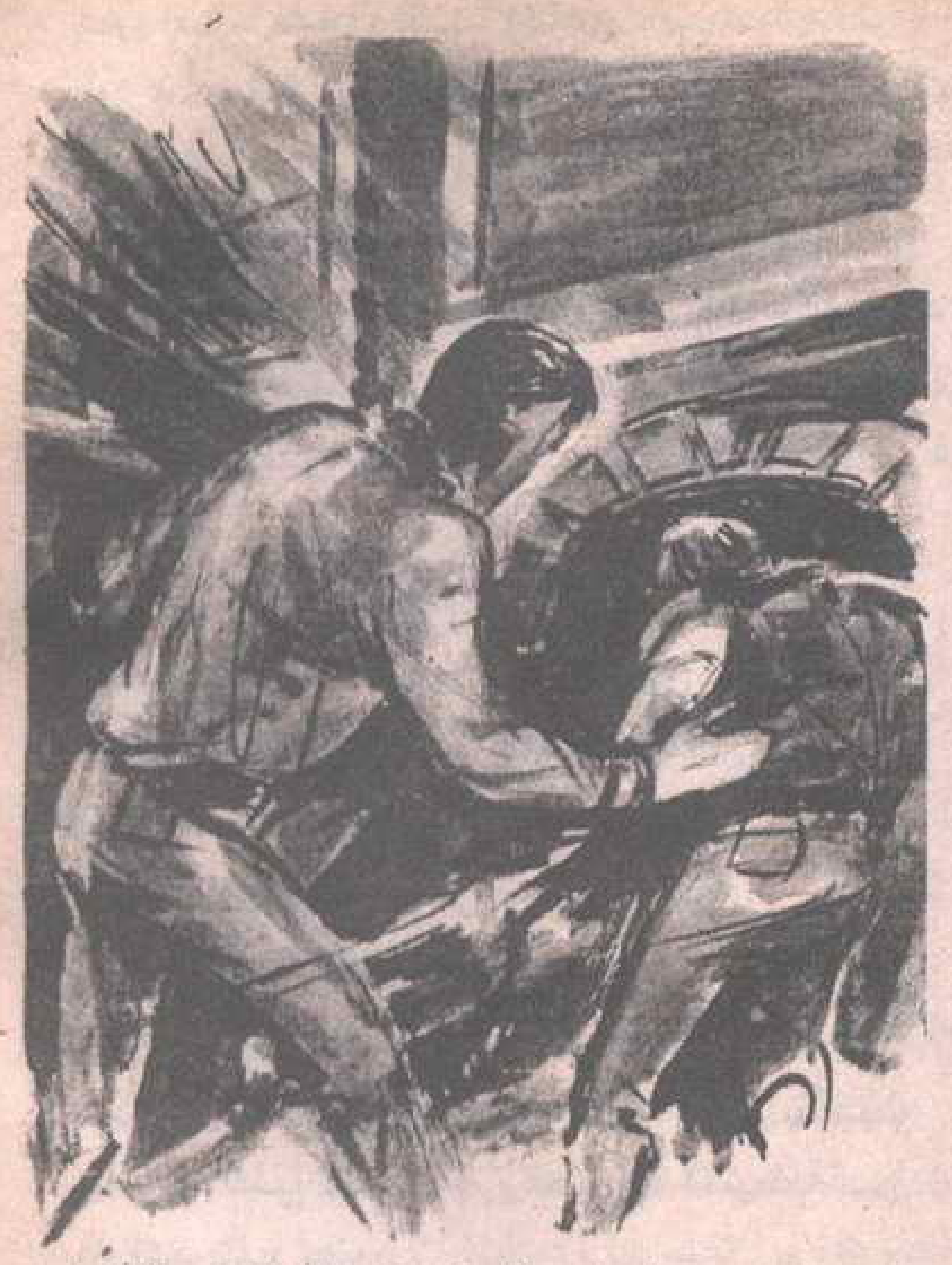
والمدفع سيصل بعد دقائق معدودة ؛ لأن قسم الشرطة لا يبعد عن دار البلدية بأكثر من أمتار معدودة ..

وفى توتر ، قالت (جيهان) ، وهى تناوله زجاجة جديدة :

ـ كل ما أتعشّمه هو ألا يستخدموا قنبلة حارقة ، فأنا أكره أن أقضىَ نحبى شيًّا ، كدجاجة مسكينة و ...

التفت إليها (أدهم) بحركة حادة ، وتألّقت عيناه بشدة ، حتى إن قلبها خفق فى قوة بين ضلوعها ، وهتفت :

ـ (أدهم) .. هل عثرت على مخرج ما ؟!



لم يتركها تتم عبارتها ، وإنما دفعها نحو المدخنة ، قائلاً :
ـ أسرعى بالصعود ..

ألقى إليها القدّاحة ، وهو يقول فى حزم :

ـ واصلى إلقاء قنابلنا .

أشعلت فتيل القنبلة فى انفعال ، وهى تسأله :

ـ قل لى أولاً : هل عثرت على مخرج .

انشغلت لحظة بإلقاء القنبلة ، وعندما استدارت إليه ، فوجئت به ينتزع فرن المشرب من مكانه ، فسألته فى دهشة :

ـ ماذا تفعل ؟!

لم يجب عن سؤالها مباشرة ، وهو ينحنى ليلقى نظرة على مدخنة الفرن ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حماس :

ـ المدخنة واسعة بما يكفى .. أسرعى .

اندفعت نحوه ، هاتفة :

ـ هل تعتقد أن ..

لم يتركها تتمّ عبارتها ، وإنما دفعها نحو المدخنة ، قائلاً :

ـ أسرعى بالصعود ، وسألحق بك على الفور .

دفعت جسدها عبر المدخنة ، وضغطت قدميها فى جدارها ، وراحت تصعد فيها فى بطء ، وهى تغمغم :

- رباه !.. أشعر وكأننى أولد من جديد ..

أما (أدهم) ، فقد التقط زجاجة جديدة ، أشعل فتيلها بالقداحة ، التى تركتها (جيهان) على المائدة واختلس نظرة إلى مساعد المفتش ، الذى يصوِّب مدفعه إلى المشرب ، ثم ألقى الزجاجة ، وتركها تنفجر خلفه ، وهو يدفع جسده بدوره داخل المدخنة ، ويتسلَّق جدارها الداخلى بأقصى سرعته ، وهو يهتف :

أسرعى يا (جيهان) .. أسرعى .

كانت (جيهان) تلمح الضوء المتسلِّل من الفتحة العلوية للمدخنة ، على مسافة ثلاثة أمتار فحسب ، فدفعت جسدها إلى أعلى أكثر ، وأكثر ، و ...

ودوى انفجار القذيفة فى المشرب ..

ومع الدوى ، ارتجَّت المدخنة بعنف شديد ، وارتفع من أسفلها لسان مِن اللهب ، كاد يبلغ (أدهم) ، الذى دفع جسده بدوره إلى أعلى ، وهو يتشبَّث بالجدار الداخلى للمدخنة ، والحرارة المنبعثة من أسفل تكاد تلفح جسده ..

ثم تصاعدت أدخنة كثيفة ..

أدخنة غمرت المدخنة كلها ، وكادت تخنقهما بكثافتها ، لولا أن كتما أنفاسهما ، ودفعا جسديهما إلى أعلى أكثر وأكثر ..

وإلى سطح المبنى ، قفزت (جيهان) ، وانبطحت على وجهها ، وراحت تسعل فى شدة ، فى حين تعلَّق (أدهم) بحافة المدخنة ، ووثب منها ، وهو يسألها فى توتر زائد :

- أأنت بخير ؟!

سعلت مرة أخرى فى عنف ، وأشارت إلى صدرها قائلة :

- يلوح لى أنه لو أطلق أحدهم الرصاص علىَّ ، لخرجت من موضع الإصابة سحب الدخان ، بدلاً من الدم .

كانت تنتظر منه نوعًا من التجاوب أو التعاطف ، إلا أنها فوجئت به يجذبها من يدها ، قائلاً فى صرامة :

- حسن .. ما دمت بخير ، فلنتحرك بسرعة إذن ، إذ لن تمضى دقائق ، حتى يكتشفوا أننا لم نلق مصرعنا فى المشرب ، وعلينا أن نبتعد بأقصى قدر ممكن عن المكان ، قبل أن تبدأ مطاردة جديدة .

لم يرق لها تجاهله لمشاعرها وآلام صدرها ، إلا أن منطقه جعلها تطيعه دون مناقشة ، وتنطلق معه ، ليقفزا من سطح إلى آخر ..

وليواصلا عمليتهما الجديدة ..

عملية السنيورا ..

النووية ..

★ ★ ★

انهمك مدير المخابرات العامة المصرية ، فى مناقشة حامية مع مساعديه ، أمام تلك الخريطة الضخمة ، فى حجرة الاجتماعات ، وراح كل من مساعديه يطرح وجهة نظره حول الموقف ، واحتمالات تطوّر الصراع ، و ... و ...

وعندما احتدم النقاش ، واختلفت بعض وجهات النظر ، وراح كل يدافع عن موقفه ، دلف مسئول الشفرة إلى القاعة ، وهو يحمل برقية كبيرة ، وقال فى حماس :

- وصلت برقية شفرية من العميد (أدهم) يا سيِّدى ..

التفت إليه الجميع فى لهفة حقيقية ، واختطف المدير البرقية من يده ، وراح يطالعها فى اهتمام

بالغ ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويغمغم :

- يا للسخافة !

سأله أحد مساعديه فى قلق :

- ماذا حدث بالضبط يا سيِّدى ؟

ناوله المدير البرقية ، قائلاً :

- رجال السنيورا نجحوا فى اختطاف البروفيسير (مانهايم) ، ولكن (أدهم) اشتبك معهم ، قبل فرارهم من (ريو دى جانيرو) ، وقتل أحدهم ، ودخل فى مشكلة عنيفة مع الشرطة ، ولكنه الآن بخير ، فى المنزل الآمن ، الذى استأجره له مندوبنا هناك ، ويؤكِّد أن الرجل المتبقى ، من رجال السنيورا ، مازال مختفيًا ، ويحتفظ بالبروفيسير ، ولن يدخر هو و (جيهان) وسعًا للبحث عن الرجل واستعادة البروفيسير ..

سأله أحد مساعديه ، فى قلق بالغ :

- وهل تعتقد أن السنيورا ستسمح لهما بهذا ؟!

هزّ المدير رأسه نفيًا فى بطء ، قبل أن يجيب فى حزم :

- مستحيل !

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع :

ـ كلنا نعلم أن نجاح خطة السنيورا أو فشلها ، يعتمد تمامًا على البروفيسير (مانهايم) ، وعلى انضمامه لفريق العلماء الذريين ، الذين يمكنهم تحقيق هدفها ، وصنع القنابل الذرية المطلوبة ، لذا فستقاتل بكل شراستها وقوتها ، للفوز بالرجل ، وستسحق كل من يعترض طريقها هذا بلا رحمة ، أضف إلى هذا كراهيتها الخرافية لـ (أدهم) بالتحديد ، وسيمكنك أن تتخيَّل صورة ما سيحدث هناك ، فى (ريو دى جانيرو) .

تبادل مساعدوه نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن يغمغم أحدهم بصوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

ـ لا يمكننى أن أتخيَّل سوى صورة واحدة يا سيِّدى .. جحيم .. جحيم ينفتح على أوسع أبوابه .

وكان تصوُّره للأحداث القادمة دقيقًا .. للغاية ..

★ ★ ★

ارتفع حاجبا (جيهان) فى تعاطف واضح ، وهى تتطلَّع إلى (أدهم) ، الذى يجلس منذ ساعة تقريبًا

أمام جهاز الكمبيوتر ، وينهمك فى العمل عليه فى استغراق تام ، على الرغم من الإرهاق الشديد ، الذى حفر ملامحه على وجهه ، فاقتربت منه فى بطء ، وهمست فى حنان :

ـ ألن تحصل على قليل من الراحة ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يواصل عمله ، قائلاً فى حزم :

ـ لكل دقيقة ثمنها يا (جيهان) .. ذلك المجرم يحتفظ بالبروفيسير فى مكان ما هنا ، ولو لم نتوصَّل إليه بأقصى سرعة ممكنة ، فستظفر به السنيورا قبلنا ، ونخسر كل شىء .

تطلَّعت إليه لحظة ، فى مزيج مدهش من الانبهار ، والإعجاب ، والتعاطف ، والحب ، ثم جذبت مقعدًا ، وجلست إلى جواره ، تسأله :

ـ ماذا تفعل بالضبط ؟

أجابها بسرعة :

ـ الكثير .

خيِّل إليها لحظة أنه سيكتفى بهذا الرد المقتضب الجاف ، إلا أنه لم يلبث أن تابع فى اهتمام شديد ،

دون أن يتوقَّف لحظة واحدة عن عمله :

ـ فى البداية ، اخترقت الكمبيوتر الخاص بالشرطة ، ووزَّعت نشرة بأوصاف المجرم الهارب ، مع صورة للبروفيسير (مانهايم) ، حصلت عليها عبر شبكة (الانترنت)(*) ، بحيث سيتصوَّر كل رجل شرطة فى (البرازيل) أنها أوامر عليا بالعثور على البروفيسير ، وإلقاء القبض على المجرم ، ثم بدأت عملية بحث واسعة عن استخدامات بطاقة الائتمان ، التى استأجر بها المجرمان تلك السيارة السوداء ، والطائرة الصغيرة ، ولكن من الواضح أنه لم يتمَّ استخدامها مرة أخرى .

سألته فى دهشة :

ـ فيم تبحث إذن ؟!

أجاب بسرعة :

ـ عن ضمادات وأدوات تطهير جروح ، تم شراؤها

(*) الانترنت : شبكة معلومات ضخمة ، تربط أجهزة الكمبيوتر بعضها ببعض ، بحيث يمكن للمشترك فيها الحصول على أية معلومات يطلبها ، من أى مكان فى العالم ، من خلال جهاز الكمبيوتر الخاص فى منزله ، عبر الهاتف .

من إحدى الصيدليات ، خلال الساعات القليلة الماضية .

زايدت دهشتها ، وهى تسأل :

ـ وبِمَ يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

أجابها فى اهتمام :

ـ لقد أطلقت النار على ذراع الرجل فى المطار ، وسيحتاج حتمًا إلى ضمادات ومطهرات .. على الأقل لمنع النزيف وتلوث الجرح ، حتى يقوم طبيب محترف باستخراج الرصاصة ..

ثم تراجع فى مقعده ، وأشار إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا :

ـ ولقد عثرت على ست صيدليات ، قامت ببيع الضمادات والمطهرات ، فى تلك الفترة ، وهذا يعنى أن أمامنا ست مناطق للبحث .

استمعت إليه بحواسها كلها ، وسألته فى لهفة :

ـ ما الخطوة التالية إذن ؟!

عاد يضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، مجيبًا :

ـ أن نبحث عن شقة تم استئجارها لفترة محدودة ، اعتبارًا من أوَّل أمس ، فى إحدى تلك المناطق الست .

ارتفع حاجبَاها ، وهى تهتف فى حماس :

ـ بالضبط .

ثم صفقت بكفيها فى جذل طفولى ، مستطردة :

ـ أنت عبقرى يا سيادة العميد .

واصل عمله ، وهو يقول فى خفوت :

ـ أشكرك .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى حسم :

ـ ها هو ذا العنوان المطلوب .

قالها ، وهو يشير إلى الشاشة ، التى حملت عنوانًا محدودًا ، تطلعت إليه ، (جيهان) فى انبهار ، وقلبها يحدثها أن الجولة التالية من المعركة قد بدأت بالفعل ..

وكانت على حق ..

لقد بدأت الجولة الثانية من الصراع ..

ولكن على نحو يفوق كل توقعاتها .. بكثير .

★ ★ ★

٦ ـ صاعقة الشر ..

زاغت عينا (ناجو) ، ودارتا فى محجريهما ، وهو يمسك ذراعه المصابة ، التى كست الدماء ضمادتها الكبيرة ، وبدا عصبيًا شاحبًا ، وهو يقول لنفسه :

ـ اللعنة ! إننى أنزف طوال الوقت ، وأكاد أفقد الوعى من شدة الضعف ! أين ذلك الرجل ، الذى أخبرتنى السنيورا أنه سيأتى لإسعافى ؟! أين هو ؟!

التقط سمّاعة الهاتف فى حدة ، ثم تركها تسقط عائدة إلى موضعها ، قبل أن يتابع فى ألم :

ـ أراهن على أن أمرى لا يهمها .. إنها لا تبالى بحياتى أو موتى .. كل ما يعنيها هو الظفر بذلك السائح الألمانى .

تناهت إلى مسامعه تأوهات خافتة ، فالتفت فى حركة حادة إلى الأريكة الكبيرة ، فى الطرف الآخر للحجرة ، حيث يرقد البروفيسير ، الذى راح يتحسّس رأسه فى ألم ، وهو يستعيد وعيه ، ويغمغم :

- آه ! أين أنا ؟! ماذا حدث ؟!

حاول (ناجو) أن ينهض إليه ، ويهوى على مؤخرة عنقه بضربة أخرى ؛ ليعيده إلى عالم اللاوعى ، إلا أن ضعفه وشحوبه الشديدين جعلا الحجرة تدور به فى عنف ، فاكتفى برفع مسدسه نحوه ، وهو يقول بلهجة ، حاول أن يدفع إليها أكبر قدر ممكن من الصرامة والحزم :

- لو غادرت موقعك ، سأنسف رأسك بلا تردُّد .

رفع البروفيسير عينيه إليه فى دهشة ، وحدَّق فى وجهه لحظات ، وكأنه يراه لأوَّل مرة ، و ...

وفجأة ، استيقظ عقله كله دفعة واحدة ..

واستعاد ذهنه تفاصيل واقعة الاختطاف ..

وفى غضب ، انعقد حاجباه ، وقال :

- رباه ! إنه أنت ! أنت المجرم ، الذى أطلق النار على زوجتى .

ازدرد (ناجو) لعابه فى صعوبة ، وخُيِّل إليه أن المسدس الذى يحمله فى يده ، يزن عشرات الكيلو جرامات ، وأن ثقله يكاد يهوى بيده ، ولكنه بذل جهدًا خرافيًا ، ليقول فى شىء من الحزم :

- اخرس يا رجل .. التزم الصمت ، وإلا ..

ولكن لهجته لم تنجح حتى فى إقناعه شخصيًا ؛ لذا فقد نهض البروفيسير من مكانه ، على الرغم من الصداع الشديد ، الذى يكتنف رأسه ، والآلام المبرِّحة ، التى تصرخ بها عظامه ، واتجه نحوه ، قائلاً :

- أيها الحقير القذر .. لماذا قتلتها ؟! ما الذى فعلته بك ، لتستحق منك هذا ؟

سرى توتر عنيف فى جسد (ناجو) ، ولعن ضعفه وشحوبه ، اللذين يمنعانه من النهوض إلى الرجل ، وتحطيم فكه بلكمة كالقنبلة ، وقال فى عصبية :

- عد إلى مكانك يا رجل .

ولكن (مانهايم) لم يكن يشعر بما يفعله ..

كان الغضب يشتعل فى أعماقه كبركان ثائر ، ويدفعه إلى الانقضاض على المجرم ، الذى أطلق النار على زوجته أمام عينيه ، فاندفع نحو (ناجو) بكل ثورته وسخطه ، صارخًا :

- أيها المجرم الوغد ! .

فى الظروف العادية ، لم يكن (ناجو) ليبالى بتلك الانقضاضة ، إلا أنه ، فى حالته هذه ، تراجع فى شىء من الذعر ، وحاول أن يضغط زناد مسدسه .

أو أنه ضغطه بالفعل ..

لم يمكنه التحديد بالضبط ..

لقد سمع دويًا محدودًا ، ورأى البروفيسير يختطف تمثالاً برونزيًا ثقيلاً ، ويندفع نحوه ، صارخًا :

- لقد قتلتها .

صرخ (ناجو) فى رعب :

- لا .. لا تفعلها ..

ولكن البروفيسير هوى بالتمثال البرونزى الثقيل بكل قوته ..

وتفجَّر شىء ما فى رأس (ناجو) ..

وغاب عن الوعى ..

أو بمعنى أدق ..

عن الحياة كلها ..

★ ★ ★

أغلق (يورى أندروفيتش) عينيه ، واسترخى فى مقعده تمامًا ، داخل الطائرة الخاصة ، التى تحمله مع فريق من أقوى رجال السنيورا ، من (بوليفيا) إلى (ريودى جانيرو) ، ومنح مظهره الرجال انطباعًا بأنه غارق فى نوم عميق ، دون أن يدرك أحدهم أن

كل خلية من خلايا مخه الرمادية ، كانت مستغرقة فى تفكير وتخطيط دقيقين عميقين ..

كان يراجع كل ما درسه وخبره ، عن (أدهم صبرى) وقدراته وأساليبه غير المألوفة ..

وكلما توغَّل بعقله وذاكرته فى الأمر ، زايله الكثير من الهدوء والارتياح ، وتسلَّل القلق إلى أعماقه رويدًا رويدًا ..

لقد بدأ الأمر يتخذ صورته الحقيقية ، التى نحَّاها الحماس والثقة جانبًا ..

إنه لن يواجه رجلاً عاديًا ..

بل سيواجه واحدًا من أكثر رجال المخابرات فى العالم قوة وخطورة ..

وربما أخطرهم على الإطلاق ..

سيواجهه (أدهم صبرى) ، ضابط المخابرات المصرية ، الذى فشلت أعتى أجهزة ومنظمات العالم فى تحطيمه والقضاء عليه ..

وسيواجهه بفريق ، لا يعلم الكثير عن تنظيمه وقوته وقدراته ..

فريق من العتاة ، ضخام الأجسام ، الذين ينتمون

قلبًا وقالبًا إلى امرأة يجهل الكثير عن تاريخها ومنشئها ، اللذين تحيطهما بقدر لا محدود من السرية والغموض ، وتحرص على إبقائهما طى الكتمان ، مهما كان الثمن ..

وهو يكره أن يبدأ حربًا بهذا الأسلوب غير المدروس ..

وبالذات ضد رجل مثل (أدهم صبرى) ..

لابد فى البداية من دراسة قدرات الرجال وإمكاناتهم ، وتحديد الدور الذى يمكنهم القيام به فى تلك المواجهة الـ ..

قبل أن يواصل أفكاره وتأملاته ، ارتفع فجأة رنين الهاتف المحمول فى جيبه(*) ، فالتقطه بحركة سريعة ، وهو يعتدل فى مجلسه ، نافضًا عنه كل الصمت والاسترخاء ، ويقول فى اهتمام :

ـ (أندروفيتش) .. من المتحدث ؟!

(*) الهاتف المحمول : هاتف خاص ، يستخدم الدوائر الكهرومغنطيسية اللاسلكية فى الاتصالات ، بحيث يصبح صغير الحجم ، كثير الإمكانات والكفاءة ، ويمكن حمله فى الجيب ، وهذا النوع من الخدمة دخل إلى (مصر) حديثًا .

أتاه صوت غير مألوف ، يهتف بلهجة تفيض ذعرًا وتوترًا :

ـ سيد (أندروفيتش) .. السنيورا أمرتنا بالاتصال بك مباشرة ، عند حدوث أية تطورات .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسأل الرجل فى صرامة :

ـ من أنت بالضبط ؟!

أجابه الرجل بنفس اللهجة المذعورة المتوترة :

ـ أنا (مارتينو) .. أحد رجال السنيورا فى (ريودى جانيرو) .. لقد أمرتنى بإحضار طبيب لتضميد جرح رجلها هنا ، والحفاظ على السائح المختطف ، حتى تصلوا لاستلامه ، ولكن ..

انعقد حاجبا (أندروفيتش) ، وهو يقاطعه فى صرامة متوترة :

ـ ولكن ماذا ؟!

اضطرب الرجل ، وارتبك أكثر وأكثر ، وهو يجيب :

ـ ولكننى وصلت مع الطبيب ، فوجدنا عميل السنيورا صريعًا ، وقد تحطمت جمجمته بضربة من تمثال برونزى ثقيل ، عثرنا عليه إلى جواره ، ولم نعثر على أدنى أثر للسائح الألمانى .

ازداد انعقاد حاجبى (أندروفيتش) ، وعقله يشتعل بالتفكير فى الأمر ، وبدا صوته شديد الصرامة والغضب ، وهو يقول :

- ابحث عنه إذن أيها الغبى .. انبش المدينة شبرًا شبرًا ، واقلبها رأسًا على عقب ، ولكن لا تسمح لذلك السائح بالخروج منها قط ، مهما كان الـ ....

قبل أن يتمَّ عبارته ، نقلت إليه أسلاك الهاتف صيحة (مارتينو) :

- يا للشيطان !.. من أنت ؟!

ثم صوت لكمة مكتومة ، وعبارة ساخرة ، تقول :

- برنامج (الكاميرا السرية) أيها الوغد ..

وانقطع الاتصال بعدها تمامًا ، على نحو اتسعت له عينا (أندروفيتش) ، وانقبضت معه أصابعه ، على هاتفه المحمول ، حتى كاد يحطمه ، وهو يتمتم فى غضب هادر :

- اللعنة !.. إنه (أدهم) .

قالها ، وألقى الهاتف على المقعد المجاور له فى حدة ، وغضب الدنيا كله يطل من عينيه ، وتلتهب به عروقه ، وعقله ينطلق مرة أخرى للتفكير بسرعة البرق ...

من المستحيل أن يكون (أدهم) هو المسئول عن مصرع (ناجو) ...

تاريخه كله يؤكد أنه لا يميل ابدًا للقتل ، إلا فى أضيق الحدود ، ودفاعًا عن حياته وحياة الآخرين فحسب ، عندما لا يكون هناك سبيل آخر ..

ثم إنه لن يقتل أبدًا بهذا الأسلوب ..

أبدًا ..

أضف إلى هذا أنه لا مبرر لعودته إلى المكان نفسه ، لو أنه قتل (ناجو) ، واستعاد البروفيسير ..

وهذا يعنى أن الأمر لم يسر على الصورة ، التى يبدو عليها ظاهريًا ..

لقد لقى (ناجو) مصرعه بوسيلة أخرى ..

وعلى يد شخص آخر ..

ولكن مَنْ ؟!

مَنْ ؟!

استغرق عقله أكثر وأكثر فى التفكير والتحليل ، وكيانه كله يكاد يذوب غضبًا وثورة ؛ لأن الطائرة لا يمكنها أن تنطلق بسرعة أكبر من هذا ؛ حتى يبدأ صراعه مع ذلك الخصم ، الذى اختار مواجهته بنفسه .

والذى سيتحوّل الصدام معه حتمًا إلى حرب شعواء .
وبلا حدود ..

★ ★ ★

انتفض (مارتينو) فى عنف ، عندما فوجئ بدخول (أدهم) و (جيهان) إلى المنزل ، وقفزت يده بسرعة إلى مسدسه ، ولكن (أدهم) وثب نحوه برشاقة مدهشة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، أطاحت به ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، فارتطم بالجدار فى عنف ، وارتدّ عنه ككرة مطاطية ، لتستقبله لكمة أخرى ساحقة من (أدهم) ، سقط بعدها أرضًا فاقد الوعى ..

وبكل ذعر الدنيا ، اندفع الطبيب المصاحب له ، فى محاولة للفرار ، ولكن (جيهان) اعترضت طريقه بحركة سريعة ، ودفعت فوهة مسدسها الباردة تحت ذقنه ، وهى تقول فى سخرية :

ـ إلى أين أيها الطبيب ؟! أليس من العار أن تفرّ بهذه السرعة ، من نداء الواجب ؟!

ارتجف الطبيب بشدة ، وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .. أقسم لكما .. لست أدرى حتى لماذا أحضرنى السنيور (مارتينو) إلى هنا ! أقسم لكما إن هذا كل ما فعلته .. لست عدوًا لكما ، ولست ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ انصرف ؟!

انعقد حاجبا (جيهان) ، وكأنما لم يرق لها هذا ، فى حين انتفض جسد الطبيب فى عنف ، وحدّق فى وجه (أدهم) ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا تقول ؟!

أجابته (جيهان) فى حدة :

ـ ألأنت أصمّ يا رجل ؟! هيا .. انصرف قبل أن تضيع فرصتك فى الفرار .

هتف الرجل :

ـ سأفعل .. سأفعل .. أشكرك يا سنيورا .. أشكرك يا سنيور .. أشكركما كثيرًا .

قالها ، وانطلق يعدو مبتعدًا ، وكأنما تطارده أشباح الدنيا كلها ، فسألت (جيهان) (أدهم) فى عصبية :

ـ لماذا سمحت له بالانصراف ؟! ألا تخشى أن يبلغ الشرطة ؟!

أجابها فى حزم ، وهو يضغط زر إعادة الاتصال فى الهاتف :

- لن يجد الوقت لهذا .

مطت شفتيها ، على نحو يوحى بعدم اقتناعها ، وأدارت عينيها فى المكان ، قائلة فى شىء من العصبية :

- يبدو أننا وصلنا بعد فوات الأوان .

نقل (أدهم) رقم الهاتف المحمول للروسى ، على جهاز كمبيوتر الجيب الصغير ، وهو يجيبها :

- إلى حد ما ، وليس بصفة تامة ، فحديث ذلك الوغد يشير إلى أن زميله قد لقى مصرعه بسبب غير معروف ، وأن اختفاء البروفيسير يربكهم كثيرًا ، وهذا يعنى أحد أمرين ، لا ثالث لهما .

جذب حديثه اهتمامها بشدة ، فسألته فى لهفة :

- وما هما ؟!

دسَّ الكمبيوتر الصغير فى جيبه ، وهو يجيب :

- إما أن جهة جديدة قد اقتحمت الصراع ، ونجحت فى تخليص البروفيسير ، أو الفوز به ، بعد قتل رجل السنيورا ، أو أن البروفيسير نفسه هو الذى قتل

خاطفه ، فى محاولة لإنقاذ نفسه ، والفرار من أسره .

درس عقلها الاحتمالين فى سرعة ، وسألته :

- وماذا لو أن الاحتمال الأوَّل هو الصحيح ؟! من الجهة التى تعتقد أنها اقتحمت الصراع ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- جهات عديدة ؛ فالكل يدرك نية السنيورا ، وخطورة نجاحها فى صنع القنابل الذرية ، وستتضافر كل القوى فى العالم ، لمنعها من بلوغ هذه الغاية ، الأمريكيون .. الروس .. البريطانيون .. الفرنسيون .. كل القوى .

ثم رفع عينيه إليها ، مستطردًا فى حزم :

- أما لو كان الاحتمال الثانى هو الصحيح ، فسيختلف الأمر تمامًا .

أطلّ التساؤل من عينيها ، فتابع :

- فلو أن البروفيسير (مانهايم) هو الذى قتل مختطفه ، فهذا يعنى أنه فرَّ من هنا بإرادته ، ويعنى أيضًا أنه قد يلجأ إلى الشرطة مباشرة ؛ ليبلغ عن الأمر ، أو ....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، مع

بريق واضح فى عينيه ، فأمسكت (جيهان) ذراعه ، وغرست أصابعها فيه بقوة ، من فرط الانفعال ، وهى تسأله فى لهفة :

ـ أو ماذا ؟!

أدار عينيه المتألقتين نحوها ، وهو يقول :

ـ هيا بنا .. أعتقد أننى أعرف ، أين يمكن أن نجد البروفيسير (مانهايم) .

نطقها بمنتهى الحزم والثقة ، قبل أن ينطلق معها إلى المكان الذى توقعه ، وكل أمله أن يصلاه فى الوقت المناسب هذه المرة ..

فى الوقت المناسب تمامًا ..

* * *

انعقد حاجبا قائد الطائرة الخاصة فى ضيق ، وتبادل نظرة سريعة مع مساعده ، قبل أن يقول للروسى (أندروفيتش) فى مزيج من الضجر والحنق :

ـ كلا يا سنيور .. هذه الطائرة تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، ولن يمكننا زيادة السرعة كيلومترًا واحدًا فى الساعة ، وسنصل إلى (ريو) خلال اثنتين وعشرين دقيقة فحسب .

أجابه (أندروفيتش) فى صرامة :

ـ الأمور يمكن أن تنقلب رأسًا على عقب ، خلال هذه الدقائق ، التى تضيف إليها أنت كلمة فحسب .

قال الطيار فى حدة :

ـ فلتنقلب الدنيا كلها رأسًا على عقب ، ولكننى لن أستطيع زيادة سرعة الطائرة ، مهما فعلت أو حاولت .

صمت (أندروفيتش) بضع لحظات ، ثم سأله بنفس الصرامة :

ـ وماذا لو عدّلنا المسار ؟!

أجابه مساعد الطيار :

ـ سنكون قد خرجنا عن المجال المسموح به ، وسيصبح من حق قوات الدفاع الجوى إسقاطنا ، ثم إن هذا لن يدخر دقيقة واحدة فعليًا ، إذ إننا سنضطر بعدها للعودة إلى المسار الأصلى ، حتى يمكننا الهبوط فى منطقة صالحة لهذا ، مما سيستهلك كل الوقت المدخر ، وربما ما هو أكثر .

انعقد حاجبا (أندروفيتش) ، وغمغم :

ـ فليكن .. امضيا فى طريقكما ، ولكن حذار أن تضيع منكما ثانية واحدة إضافية .

نطقها بكل الحزم والصرامة ، وعلى نحو ارتجفت له الدماء فى عروق الطيار ومساعده ، فتبادلا نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم الأوَّل :

ـ من هذا الرجل بالضبط ؟! مسخ (فرانكنشتين؟!)(*)

ارتجف الثانى ، وهو يتمتم :

ـ اخفض صوتك بالله عليك يا رجل .. أراهن على أنه لو سمع ما قلت ، لما تردَّد فى نسف رأسينا بلا رحمة .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أندروفيتش) يعود إلى مقعده ، وهو يفكِّر فى عمق ، ويراجع الأمر كله مرات ومرات ..

وفجأة ، اعتدل بحركة حادة ، وهتف :

ـ آه .. المستشفى !

واختطف هاتفه المحمول فى لهفة ، وضربت سبَّابته أزراره فى سرعة ، ولم يكد يسمع صوت السنيورا ، حتى قال بسرعة :

(*) فرانكنشتين : رواية كتبتها الروائية (مارى شيلى) ، عن عالم فذ ، يتوصَّل إلى وسيلة جهنمية ، لإنتاج مسخ بشع ، ولكن ذلك المسخ يطالبه بصنع وليفة له ، وعندما يعجز عن هذا ، يقتل المسخ زوجته ، فيطارده العالم للثأر منه ، إلا أنه يلقى مصرعه فى النهاية وسط الثلوج ، ويبقى المسخ حيًا ..

ـ أنا (يورى) .. أخبرينى يا سنيورا .. كم عدد رجالك فى (ريو) ، وكم تبلغ قوتهم ؟!

أجابته السنيورا فى توتر ، وهى تلقى سيجارتها المشتعلة بعيدًا :

ـ لماذا ؟! ماذا حدث هناك ؟!

قال ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

ـ إننى أعلم أين سيكون (أدهم) بعد قليل ، ولكننا لن نصل إلى (ريو) قبل عشرين دقيقة على الأقل ، وعندئذ سيكون قد ظفر بالصيد الأساسى ، الذى نسعى خلفه .

التقى حاجباها فى شدة ، وتحركَت فى حجرتها بعصبية بالغة ، وهى تغمغم ، وكأنها نسيت وجود (أندروفيتش) على الطرف الآخر للخط ، وراحت تتحدَّث مع نفسها :

ـ (أدهم) اللعين !.. إنه يُفسد عملى فى كل مرة .

زمجر (أندروفيتش) فى غضب ، وهو يقول :

ـ سنيورا .. لا وقت لهذا .

انتبهت السنيورا ، فمطَّت شفتيها الجميلتين فى توتر ، وقالت :

ـ أين سيكون (أدهم) يا (يورى) ؟!
أجابها بسرعة وحزم :
ـ فى المستشفى ، الذى تعالج فيه زوجة البروفيسير (ماتهايم) .
ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :
ـ المستشفى ؟!
أجابها (أندروفيتش) فى حزم :
ـ نعم يا سنيورا .. المستشفى .. الأمور فى (ريو) تعقّدت للغاية .. (ناجو) لقى مصرعه ، والبروفيسير اختفى .
كادت تقفز من مكانها فى انفعال جارف ، وهى تصرخ :
ـ اختفى ؟! البروفيسير اختفى ؟! مستحيل لا يمكن أن يكون (أدهم) قد ظفر به ، بعد كل ما حدث ..
صاح بها (أندروفيتش) فى صرامة :
ـ إنه لم يظفر به بعد ، ولكنه سيفعل ، لو واصلت الصراخ والانفعال على هذا النحو ، ملقية كل قواعد التفكير والتدبير خلف ظهرك .
أحنقتها عبارته ، وأغضبتها بشدة ، إلا أن المنطق الذى تحويه ، جعلها تبذل جهدًا خرافيًا ، للسيطرة

على أعصابها ، وأشعلت سيجارة جديدة بأصابع مرتجفة ، من فرط الانفعال ، ونفثت دخانها فى قوة ، قبل أن تقول ، وهى تواصل الدوران فى حجرتها كنمرة شرسة :
ـ ولماذا تثق بأن (أدهم) سيذهب بنفسه إلى المستشفى ، الذى تعالج فيه زوجة البروفيسير ؟!
أجابها فى حزم :
ـ ملابسات الأمر تشير إلى أن البروفيسير قد نجح فى الفرار من (ناجو) ، بعد مقتله ، ثم اختفى بإرادته ، ومن المؤكّد أن أوّل ما سيفعله هو العودة إلى الفندق ، وهناك سيعلم أن زوجته لم تلق مصرعها ، وأنهم يعالجونها فى المستشفى العام ، ومن الطبيعى أن يهرع إلى هناك للاطمئنان عليها ، ومن البديهى أيضًا أن (أدهم) سيتوصّل إلى الاستنتاج نفسه ، وسيلحق به فى المستشفى ، و ...
قاطعته فى عصبية :
ـ مستحيل !
ثم نفثت دخان سيجارتها ثانية ، قبل أن تتابع فى توتر بالغ :

- ولكن المشكلة أنه ليس لنا سوى خمسة رجال فى (ريو) كلها ، وكلهم غير مؤهلين لمواجهة (أدهم) وزميلته .

انعقد حاجباه فى شدة ، وزايله بروده الأسطورى ، وهو يقول متوترًا :

- مستحيل !.. هذا يعنى أنه سيفوز بالغنيمة حتمًا .

قالت فى عصبية :

- لا يمكن أن أسمح له بهذا .. البروفيسير (مانهايم) هو القطعة الناقصة والأخيرة ، فى مشروعى النووى .. لن أسمح لـ (أدهم) بالفوز به قط ، مهما كان الثمن .

هتف (أندروفيتش) :

- وكيف نمنعه من هذا ؟! إننا لن نصل إلى هناك قبل ثمانى عشرة دقيقة ، وهى وقت كاف لرجل مثله ، ليحتلَ البيت الأبيض(*) ، لو عنّ له هذا .

(*) البيت الأبيض : المقر الرسمى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فى العاصمة (واشنطن) ، وضع أساسه عام ١٧٩٢ م ، وقام بتصميمه (جيمس هوبان) ، واختار موقعه (جورج واشنطن) ، وكان (جون أدمز) هو أول رئيس يقيم فيه ، عام ١٨٠٠ م ، ولقد اكتسب اسمه من طلائه الأبيض ، بعد أن حرقه الإنجليز عام ١٨١٤ م .

تقطَّب جبين السنيورا ، على نحو أفسد جمالها الساحر ، وهى تعتصر عقلها فى عنف ، محاولة التفكير فى هذا الأمر ، و (أندروفيتش) يتابع :

- اللعنة !.. ينبغى أن نجد وسيلة لمنعه ، أو حتى لتعطيله ، حتى نصل إلى (ريو) ، وبعدها سـ ....

قاطعته بغتة فى انفعال :

- وجدتها .

سألها فى لهفة :

- حقًا ؟!.. ماذا لديك ؟!

أجابته فى حماس جارف :

- فكرة مبتكرة جديدة يا (يورى) .. فكرة ستدفع (أدهم صبرى) إلى خوض معركة جانبية عنيفة ، لن يمكنه حسمها ، قبل وصولكم إلى هناك .. بل وربما تزيحه عن طريقنا نهائيًّا .

تراجع فى مقعده ، وهو يسألها :

- أية فكرة هذه ؟!

أسرعت تروى له فكرتها ، وهو يستمع إليها مبهورًا ، على الرغم من خبرته الطويلة فى عالم الجاسوسية والغموض ..

فقد كانت فكرة عبقريةَ مبتكرة بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

جَر البروفيسير (مانهايم) ساقيه فى صعوبة ، وهو يدلف إلى قسم الحالات الحرجة فى المستشفى العام فى (ريودى جانيرو) ، وانزعجت الممرضة المشرفة على القسم من مظهره المضطرب ، وشعره الأشعث ، وعينيه الزائغتين ، فأسرعت إليه ، قائلة بالبرتغالية(*) :

ـ معذرة يا سنيور .. من المحظور تمامًا أن ...

قاطعها البروفيسير بالألمانية ، فى توتر زائد :

ـ زوجتى (إيفا) .. أين هى ؟! كيف حالها ؟!

ارتفع حاجبا الممرضة فى دهشة ، وهى تغمغم بلغتها ، دون أن تفهم من عبارته سوى اسم المرأة :

ـ (إيفا) ؟! أتقصد تلك المصابة ، فى حادث الاختطاف ؟!

(*) اللغة الرسمية لدولة (البرازيل) هى البرتغالية ، بخلاف معظم دول أمريكا الجنوبية ، التى تتحدث الإسبانية .

كرَّر البروفيسير فى عصبية :

ـ أين زوجتى ؟!

كان من الواضح أن أحدهما لا يستطيع فهم الآخر ، لذا فقد أشارت الممرضة إلى الحجرة ، التى توجد بها زوجته ، دون أن تنطق بكلمة واحدة إضافية ، فاندفع نحوها ، وفتح الباب فى عنف غير مقصود ، وارتفع حاجباه فى تأثُّر ، وهو يتطلَّع إلى زوجته ، التى ترقد غائبة عن الوعى ، على فراش صغير ، وقد اتصلت بجسدها الضئيل أسلاك وخراطيم دقيقة ، جعلته يغمغم بصوت أقرب إلى البكاء ، وهو يلتقط يدها الصغيرة ، ويحتضنها بكفيه فى حنان :

ـ حبيبتى .. عودى إلىَّ يا حبيبتى .. لا تذهبى .. أستحلفك بالخالق ألا تذهبى .

انهمرت الدموع على وجنتيه ساخنة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (أدهم) و(جيهان) إلى المستشفى ، واندفعا إلى موظفة الاستقبال ، وسألها (أدهم) فى حزم :

ـ أين حجرة مصابة حادثة الاختطاف .

أجابته الموظفة فى سرعة :

- فى القسم الخاص بالحالات الحرجة ، فى الطابق الثالث .

اكتفيا بهذه الإجابة ، واندفعت (جيهان) نحو المصعد ، ولكن (أدهم) أشار إليها ، قائلاً :

- كلاً .. سنستخدم السلم .

قالها ، وانطلق إلى السلم بالفعل ، فأسرعت تلحق به ، وهى تقول معترضة :

- ولِمَ لانستخدم المصعد ؟!

أجابها فى حزم :

لا أحد يمكنه تعطيل السلم ، بقطع التيار الكهربى .

مطّت شفتيها ، وهى تلحق به ، وذهنها يتهمه بأنه مسرف فى الحذر والحيطة ، فى حين تابعتهما الموظفة بشىء من الدهشة ، وغمغمت :

- عجبًا ! الرجل يتحدّث البرتغالية ، وعلى الرغم من هذا فهو يبدو لى كما لو كان أجنبيًا ، أو ...

قبل أن تتم عبارتها ، وقع بصرها على الكمبيوتر أمامها ، فانعقد لسانها فى حلقها ، وحدّقت فى شاشته ذاهلة مذعورة ، ثم لم تلبث أن انتفضت فى عنف ، واختطفت سمّاعة الهاتف المجاور ، وطلبت رقمًا

داخليًا بأصابع مرتجفة ، ولم تكد تسمع صوت محدّثها ، حتى قالت فى توتر زائد :

- هنا استقبال المستشفى .. أريد طاقم الأمن الخاص بأقصى سرعة ، وليتصل أحدكم بشرطة مكافحة الإرهاب .. الأمر خطير .. خطير للغاية .

وأنهت الاتصال ، وهى تعاود التحديق فى شاشة الكمبيوتر ، التى حملت بالفعل بيانات بالغة الخطورة ، وإلى جوارها صورة واضحة ..

صورة (أدهم صبرى) .

* * *





واختطفت سمّاعة الهاتف المجاور ، وطلبت رقمًا داخليًا بأصابع مرتجفة ..

٧ ـ الخطر ..

توقَّف (لاماس) بضع لحظات ، عند باب حجرة المكتب الرئيسية للسنيورا ؛ ليراقبها فى اهتمام ، وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وتراجع بعض البيانات المختزنة فيه ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى أن وقفته قد طالت ، فتنحنح بصوت مسموع ، جعلها تلتفت إليه بحركة حادة ، وتقول فى شراسة :

ـ ماذا تريد ؟!

تنحنح مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ معذرة يا سنيورا ، ولكننى أردت أن أخبرك أن علماء الذرة الثلاثة فى معاملهم الآن ، وقد استسلموا للأمر تمامًا .

التقطت علبة سجائرها ، وهى تسأله فى عصبية :

ـ هل تراقبونهم ، عَبر شبكة (الفيديو) ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ طوال الوقت يا سنيورا ، طبقًا لأوامرك .

أغلقت جهاز الكمبيوتر ، وأشعلت سيجارتها ، وهى

تتطلع إليه بنظرةٍ ثاقبة متفحصة ، ثم قالت فجأة :

- هيا .. تحدَّث .

بدا عليه مزيج من الدهشة والانزعاج ، وهو يقول :

- أتحدَّث عن ماذا يا سنيورا ؟!

أجابته فى صرامة :

- عن ذلك الأمر ، الذى أتيت للتحدُّث فيه .. عن قيادة الروسى لحملتى الجديدة ، ضد (أدهم صبرى) .

كان من الواضح أنها قد أصابت الهدف بمنتهى الدقة ، فلم تكد تنتهى من حديثها ، حتى اكفهرَّ وجه الشاب الأسمر ، وقال فى عصبية :

- ذلك الروسى لا يمتاز عنا .

أجابته فى هدوء ، وهى تنفث دخان سيجارتها :

- أتعتقد هذا ؟!

قال فى حدة :

- بالتأكيد .. ربما يفوقنى عمرًا ، ولكن خبراتى لا تقلّ حتمًا عن خبراته ، فمن سنوات عمرى الثلاثين ، قضيت تسعة أعوام مع عصابات التهريب ، وخمسة عشر عامًا فى صفوف مرتزقة الجبال ، وثلاثة أعوام مع عصابات الأدغال ، و ...

قاطعته ساخرة :

- والباقى فى دار حضانة .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، فانفجرت هى ضاحكة فى سخرية وتهكم قاسيين ، جعلاه يهتف محنقًا .

- ما الذى يُضحكُ إلى هذا الحد يا سنيورا ؟!

نفثت دخان سيجارتها فى بطء مستفز هذه المرة ، وهى تبتسم فى سخرية ، ثم لوَّحت بسبَّابتها ، قائلة :

- لو أننا جمعنا السنوات التى تحدَّثت عنها ، لوجدنا أنك تعمل مع العصابات المنظمة ، منذ كنت فى الثالثة من عمرك .

أجابها فى صرامة :

- هذا صحيح .. والدى كان واحدًا من كبار رجال العصابات فى (بوليفيا) ، ولقد حرص على إعدادى للعمل ، منذ بلغت الثالثة من العمر ، لذا فقد استخدم طفولتى لخداع شرطة الجبال ، فى أثناء عمليات نقل المخدرات ، وكنت أحملها فى جيبى وحقيبتى ، وأبتسم لهم فى براءة .. إنها حالة نادرة .. أليس كذلك ؟!

أدهشته تلك الجدية ، التى انحفرت على ملامحها بسرعة ، وهى تقول :

- بلى .. إنها حالة نادرة ، ولكنك لست أوّل من خاض هذه التجربة .

سألها فى دهشة :

- ومن سبقنى إليها ؟

التقى حاجباها على نحو عجيب ، خُيل للشاب لحظتها أنها أشبه بالساحرة الشريرة ، فى أفلام (ديزنى) القديمة(*) ، فتراجع بشىء من التوتر ، قبل أن تجيب هى فى صرامة مخيفة :

- لا شأن لك بهذا .

نطقتها وعقلها يحمل صورة لـ (أدهم صبرى) ، ويسترجع قصة حياته النادرة(**) ، وصراعاته الطويلة العنيفة ، مع أقوى أجهزة المخابرات ، والمنظمات الإجرامية ، فى العالم أجمع ..

(*) والت ديزنى : (١٩٠١ - ١٩٦٦ م) ، مخرج أمريكى للصور المتحركة ، عُرف بالشخصية الهزلية الشهيرة التى ابتكرها فى العشرينات (ميكى ماوس) ، وفى عام ١٩٣٨ م ، أنتج أوّل فيلم كامل للصور المتحركة (سنو هوايت والأقزام السبعة) ، ولقد أقام أشهر مدينة للملاهى فى (كاليفورنيا) عام ١٩٥٥ م ، ثم أتبعها بأخرى مدهشة فى (فلوريدا) .

(**) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

وبكل قوتها هزّت السنيورا رأسها الجميل ، وكأنها تنفض عنه كل ما يحمله عن (أدهم صبرى) ، قبل أن تقول فى صرامة عصبية :

- أحمق وغبى ومتسرّع كعادتك يا (لاماس) .. إنك لم تستطع حتى التمييز بين خبرة رجال العصابات ، بعنفهم العشوائى ، وعدوانيتهم غير المرشّدة ، وخبرات ضابط مخابرات سابق ، تلقّى تدريبات عنيفة طويلة منظّمة ، وتدرّب على كيفية التفكير ، والعمل واتخاذ القرار الصائب بسرعة خرافية ، ووضعه موضع التنفيذ بالشكل المناسب .

انفرجت شفتا (لاماس) المبهور ، وحاول أن يقول شيئًا ما ، ولكنه ارتبك ، وغمغم فى شىء من العصبية :

- فى بعض الأحيان تفيد خبرة رجال العصابات ، بأكثر من مهارة رجال المخابرات .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تألّقت عيناها على نحو عجيب ، والتقى حاجباها مرة أخرى ، واعتدلت فى مقعدها بحركة حادة ، فتراجع (لاماس) مضطربًا ، وهو يهتف :

ـ معذرة يا سنيورا .. إننى لم أقصد أن ...

قاطعته فى حدة :

ـ اصمت .

سرت فى جسده قشعريرة باردة ، مع تلك النظرة العجيبة ، التى أطلت من عينيها ، وهى تفكر فى عمق ، وتجمد فى مكانه قلقًا خائفًا ، إلا أنها لم تلبث أن رفعت عينيها إليه ، قائلة فى حزم :

ـ أنت على حق يا (لاماس) .. فى بعض الأحيان تصبح خبرة رجال العصابات أكثر فائدة ، من مهارة رجل المخابرات .

شحذت كلماتها حواسه بشدة ، فانتبه بكيانه كله ، فى حين استغرقت هى فى التفكير بضع لحظات أخرى ، ثم أشارت إليه ، قائلة فى حزم صارم :

ـ فليكن يا (لاماس) سأحقق لك مطلبك .

ردد مبهوتًا :

ـ مطلبى ؟!

تابعت ، وكأنها لم تسمعه :

ـ ستسافر على رأس فريق آخر إلى (ريو دى جانيرو) ، مع خطة احتياطية ، للتصدى لـ (أدهم) .

هتف مستنكرًا :

ـ ولماذا احتياطية يا سنيورا ؟!

أجابته فى صرامة :

ـ لأننى لا أريد أن يرتبك الأمر ، أو يحدث أى تخبُّط هناك ، فخصمنا شديد البراعة والذكاء ، ولقد اعتاد استغلال أى تخبُّط أو اضطراب لصالحه ، ولن أمنحه هذه الفرصة قط .

وعادت عيناها تتألقان على نحو مخيف ، وهى تتابع :

ـ لذا فسأرسلك مع فريقك كخط قتال ثان ، حتى يصل خط القتال الرئيسى الثالث .

سألها فى دهشة :

ـ أهناك ثالث ؟!

ارتسمت على شفتيها ابتسامة وحشية ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .. وهذا الخط القتالى بالذات ، لن يصمد أمامه (أدهم صبرى) قط ، مهما فعل .

قالتها ، وعيناها تتألقان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

« البروفيسير (ماتهايم) .. أليس كذلك ؟! »
ارتجف جسد البروفيسير في عنف ، عندما سمع العبارة من خلفه ، ينطقها صاحبها بصوت هادئ حازم ، ولغة ألمانية سليمة ، فالتفت إليه بحركة حادة ، وحدّق في وجهه لحظة ، قبل أن يتراجع في ذعر واضح ، ويحمى وجهه بيده ، هاتفاً :
- ماذا تريدان منّى ؟!
اقترب (أدهم) منه في هدوء ، وهو يجيب :
- اطمئن يا بروفيسير .. نحن ننتمى إلى الجانب الأفضل .
هتف البروفيسير :
- لا يوجد جانب أفضل .. الجميع سيئون .. لم أعد أثق بأحد .
رسمت (جيهان) على شفتيها ابتسامة عذبة ، وهى تشير بيدها ، قائلة :
- صدقنى يا بروفيسير .. يمكنك أن تثق بنا ، فلسنا نحمل لك سوى الخير وحده .
سألها في حدة :

- ومن يضمن لى هذا ؟!
سأله (أدهم) في هدوء ، وهو يواصل اقترابه منه :
- ما الضمانات التى تطلبها يا بروفيسير ؟!
حدّق البروفيسير في وجهه بدهشة ، وكأنه لم يتوقّع السؤال ، وارتبك على نحو ملحوظ ، وعدّل منظاره فوق أنفه ، و ...
وفجأة ، وثب (أدهم) نحوه بخفة النمر ..
وقبل أن يفهم الرجل ما يحدث ، أو حتى تستوعبه (جيهان) ، كان (أدهم) قد أحاط عنقه بذراعه القوية ، ولوى ذراعه خلف ظهره ، وهو يقول في صرامة :
- الآن يمكننى قتلك بحركة واحدة .. هل تدرك هذا ؟
شحب وجه البروفيسير بشدة ، وهتف بصوت مختنق :
- نعم .. نعم .
ظلّ (أدهم) على هذا الوضع لحظات ، ثم أرخى ذراعه ، وأفلت ذراع البروفيسير ، وهو يقول :
- عظيم .. هل تمنحنا ثقتك الآن ؟!

اتسعت عينا البروفيسير فى دهشـــة ، وانفرجت شفتاه لحظة ، وهو يومئ بسبَّابته ، إلا أنه لم ينطق بكلمة واحدة لدقيقة كاملة ، ثم لم يلبث أن تمتم :

- إلى حدٍّ ما .

ثم عدَّل منظاره فوق أنفه ، وسأل فى توتر شديد :

- ولكن لماذا لم ....

قاطعه (أدهم) بغتة ، بإشارة صارمة من يده ، ثم تحرك فى خفة إلى الباب ، وفتحه فى حذر ، وألقى نظرة سريعة فاحصة عبر فرجته ، قبل أن يشير إلى (جيهان) فى حزم ، فسألته هامسةً فى قلق ، وباللغة العربية :

- ماذا هناك ؟!

أجابها فى اهتمام :

- رجال أمن المستشفى يحاصرون المكان ، ويتخذون مواقع مناسبة لتبادل إطلاق النار .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تهتف :

- إطلاق النار ؟! فى المستشفى ؟!

تحـــرك بســـرعة ، دون أن يجيبـــها ، وتابعـــه البروفيسير ببصره فى توتر بالـــغ ، ولم يفهــم حرفًا

واحدًا من حديثه ، عندما أشار إلى (جيهان) ، قـائلاً بالعربية ، وهو يلقى نظرة عبر النافذة :

- آه .. كما كنـت أخشـى تمامًـا .. فرقـة من فـرق شرطة مكافحة الإرهاب ، تتمركز فـى الحديقـة .. من الواضـح أنهم يعتبرون الأمر من الخطـورة ، بحيـث يستحق مواجهة مباشرة بالنيران ، فى مستشفى عام ، يمتلئ بالمرضى .

هتفت فى دهشة بالغة :

- وما الذى يمكن أن يستحق كل هذا ؟!

لم تكد تتمَّ عبارتها ، حتى ارتفع صوت قـائد فرقـة مكافحة الإرهاب ، وهو يقول بصوت جهورى ، عبر مكبِّر صوتى محمول :

- إنـذار إلـى من يُدعـى (أدهم صبرى) .. نحن نحاصر المكان تمامًـا ، ولدينا أوامر مشدَّدة بإطلاق النار مباشرة ، عند أدنى مقاومة .. كل ما ننصحك به هو الاستسـلام فورًا ، حقنًا للدمـاء .. أكـرر .. لدينـا أوامر مشدَّدة بإطلاق النار .

تبادل (أدهم) و (جيهان) نظرة سريعة مفعمة بالتوتر ، وانطلق ذهن الأخيرة يصرخ فى أعماقها ذاهلاً .

– ما الذى يمكن أن يستحق كل هذا ؟!

ومن المؤسف أنه لم تكن لديها وسيلة لمعرفة الجواب ، فى تلك اللحظة ..

أية وسيلة ..

★ ★ ★

تألَّقت عينا (أندروفيتش) على نحو عجيب ، وحطمت ابتسامة باهتة بروده الأسطورى ، وهو يسترجع فى ذهنه ما فعلته السنيورا ..

ودون أن يدرى ، وجد نفسه يغمغم :

– يا للأفعى الداهية !

كان يشعر بشىء من الغيرة والحسد ، لأنها هى التى توصَّلت إلى تلك الفكرة لا هو ..

لقد استغلت شبكة المعلومات ، التى تربط أجهزة الكمبيوتر بعضها ببعض ، ونشرت تحذيرًا بالغ الخطورة ، يؤكد أن (أدهم صبرى) مصاب بفيروس رهيب ، من جراء خطأ حربى تجريبى ، فى أثناء اختبار أحد أسلحة الحرب البيولوجية(*) ، وأن وجوده

(*) الحرب البيولوجية : وسيلة من وسائل الحرب الحديثة ، تعتمد على ابتكار أنواع جديدة من الأمراض والميكروبات ، للقضاء على الخصم ، أو تلويث مصادر طعامه وشرابه ، عند قيام الحروب الشاملة .

يعرِّض الملايين للإصابة بالعدوى ، ولا توجد وسيلة لمنع ذلك سوى إلقاء القبض عليه ، وحجزه فى الحجر الصحى ، أو ...

أو القضاء عليه ..

وبعدها تركت الانفعالات البشرية تؤدى الباقى ..

الكل سيصاب حتمًا بالذعر والفزع ، مع انتشار التحذير ..

وخاصة عندما يصل إلى المستشفى ، الذى سيلحق بالبروفيسير (ماتهايم) فيه ..

وعندئذ سيشتعل الموقف كله ..

وسيتم اتخاذ إجراءات مبالغة حتمًا ..

وبسرعة مدهشة ، سيجد (أدهم) وزميلته نفسيهما محاصرين ، فور ظهورهما على الساحة ..

ولأنه لن يفهم ما يحدث ، فسيسعى للخروج من الموقف حتمًا ..

وسيشعل هذا الموقف أكثر وأكثر ، و ...

« الطائرة تستعد للهبوط أيها الزعيم .. »

انعقد حاجبا (أندروفيتش) فى ضيق ، عندما نطق أحد رجال السنيورا هذه العبارة ، التى انتزعته من

أفكاره وتأملاته ، فالتفت إليه ، قائلاً فى صرامة :

ـ لقب الزعيم هذا يجعلنى أشعر وكأننى أقود طغمة من الأوغاد .. لِمَ لا تستخدمون لقب القائد ؟!

اتسعت عينا الرجل فى دهشة ، وبدا له أن صرامة زعيمه ليس لها ما يبررها ، ولكنه أطاع رغبته ، وقال :

ـ فليكن .. الطائرة تستعد للهبوط أيها القائد .

التقط (أندروفيتش) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ عظيم .. لقد وصلنا فى الوقت المناسب بالتأكيد ، ولكن ربما نعود بالطائرة نفسها إلى (فيلا مونتزو) ، فى أسرع وقت ممكن .

ارتفع حاجبا الرجل بدهشة أكبر ، ولكن الروسى تابع فى برود عجيب :

ـ فربما ينقضى الأمر قبل وصولنا إلى موضع الهدف .

قالها ، وذهنه يرسم صورة للقتال العنيف ، الذى سيدور حتمًا ، بين (أدهم صبرى) ورجال الأمن فى (ريودى جانيرو) ..

ولكنه لم يتصوَّر أن ذلك القتال قد بدأ بالفعل ..

وعلى نحو أكثر عنفًا مما تصوَّر .. بكثير ..

★ ★ ★

« ماذا سنفعل ؟! »

ألقت (جيهان) السؤال فى توتر ملحوظ ، وهى تتابع من خلف نافذة الحجرة تحركات قوة مكافحة الإرهاب ، واستعداداتهم للمواجهة ، وكأنهم يتصدَّون لجيش كامل من الإرهابيين ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، مستطردة فى عصبية :

ـ لقد تركنا أسلحتنا فى السيارة ؛ حتى لا تسبب لنا أية مشكلات ، عند مرورنا من بوَّابة الأمن الإليكترونية .

أجابها (أدهم) فى حزم :

ـ حتى لو كنا نمتلك صواريخ موجَّهة ، لما استخدمتها داخل مستشفى :

بدت عليها العصبية الشديدة ، وهى تقول فى حدة :

ـ هل تعتقد أن هذا وقت مناسب ، لتلك المثاليات الـ .. الأنيقة ؟!

أجابها فى صرامة :

- المبادئ لا تتغيَّر بتغير الظروف أيتها النقيب .

أشارت بيدها ، قائلة :

- رائد يا سيادة العميد .. رائد .. أم أنك نسيت ترقيتى الأخيرة ؟!

أحنقه أن يشتبكا فى مناقشة مضجرة كهذه ، فى وقت بلغت فيه الأمور ذروتها ، فأشاح عنها بوجهه ، وأدار عينيه فى المكان فى سرعة ، فى نفس اللحظة ، التى هتف فيها البروفيسير (مانهايم) :

- أنتما مجرمان .. أراهن على أنكما كذلك ، وإلا فلماذا يحيط رجال الشرطة بالمستشفى على هذا النحو ؟! إنهم يجازفون بإشعال معركة فى قلب مستشفى عام يكتظ بالمرضى ، فى سبيل إلقاء القبض عليكما !! أيمكن أن تفعل الشرطة هذا ، ما لم يكن خصمها سفاحًا رهيبًا ؟!

استدار إليه (أدهم) ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى صرامة شديدة ، جمَّدت الدماء فى عروقه :

- اسمع يا بروفيسير .. الشىء الذى ينبغى أن تدركه ، هو أنه هناك منظمة بالغة الخطورة ، تسعى

لاختطافك ، وإجبارك على المعاونة فى إنتاج سلسلة من القنابل الذرية ، فى أضخم حركة إرهابية عرفها التاريخ ، وتلك المنظمة نجحت بالفعل ، فى اختطاف ثلاثة من العلماء ، فى المجال نفسه .. (دوران جولهى) ، و (جيسكار دى مال) ، و (ميخائيل استروتيسكى) ، والمهمة التى نحن بصددها ، والتى نبذل من أجلها كل هذا الجهد ، ونعرِّض روحينا للخطر فى سبيلها ، هى إنقاذك من تلك المنظمة الرهيبة ، ومنعها من الظفر بك ، والمقابل الوحيد الذى نطلبه منك ، هو أن تمنحنا بعض الثقة والتعاون ، وكما ترى ، فالوقت لا يحتمل التفكير الطويل فى الأمر ، احسم موقفك بسرعة ، بعد أن تستخدم عبقريتك وشعورك الداخلى ، وأخبرنا .. هل ستتعاون معنا ، أم تضع فى طريقنا المزيد من العقبات ؟!

اتسعت عينا البروفيسير عن آخرهما ، وأدهشته تلك الألمانية المتقنة للغاية ، التى يتحدَّث بها (أدهم) ، وذلك الحزم الصارم المخيف فى صوته ، فارتبك ، واضطرب ، وهمَّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع صوت قائد فرقة مكافحة الإرهاب ثانية ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- إنذار أخير .. إما الاستسلام التام غير المشروط ، خلال دقيقة واحدة فحسب ، وإلا فسنطلق النار بلا أدنى تردد .

تمتمت (جيهان) فى سخرية عصبية :

- دقيقة واحدة ؟! يا للسخاء !

تحرك (أدهم) فى سرعة ، وهو يقول :

- المهم أن نحسن استغلال كل ثانية منها .

قالت فى عصبية :

- كيف ؟! هل نهددهم بمحقن فارغ ، أم أسطوانة أكسجين نصف ممتلئة ؟!

التقط عددًا من زجاجات كحول التطهير ، وهو يقول :

- من يدرى ؟! ربما أربكناهم بما هو أكثر بساطة .

اشتمت من كلماته رائحة خاصة ، بثت الكثير من الحماس فى عروقها ، فسألته فى لهفة :

- ماذا ستفعل ؟!

أجابها بلهجة ساخرة :

- راقبينى جيدًا أيتها الرائد ، فربما أفادك هذا فى مواقف مستقبلية .

لم يرق لها أسلوبه هذا ، فعقدت حاجبيها ، وتمتمت فى حدة :

- نعم .. ربما .

حاولت أن تفهم ما يرمى إليه ، وهو يفرغ عبوات الكحول فى كيس كبير من البلاستيك ، ثم بوصله بأسطوانة أكسجين نصف ممتلئة بالفعل ، ويحمل كل هذا إلى قرب النافذة ، ثم يقول للبروفيسير فى حزم :

- انبطح أرضًا ، ولا تغادر هذه الحجرة ، حتى نعود إليك ، أو نجرى اتصالاً بك .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، فى توتر شديد ، وأسرع ينفذ الأمر ، وينبطح إلى جوار فراش زوجته ، الغارقة فى غيبوبة عميقة ، فى حين ارتفع صوت قائد فرقة مكافحة الإرهاب ، وهو يقول فى صرامة قاسية :

- نصف دقيقة فقط ونطلق النار .. لن يكون هناك أى تمديد للمهلة .

سألت (جيهان) :

- أتعتقد أنه جاد ؟!

أجابها (أدهم) ، وهو يلتقط ورقة من أوراق

التقرير الطبى ، الخاص بزوجة البروفيسير ، ويطويها على نحو مألوف :

- بالتـأكيد .. من الواضح أنهم يرون الأمر بـالغ الخطورة ؛ بدليل أنهم لم يحاولوا انتظارنـا ، حتـى نغادر المستشفى ، وإنما حاصرونا داخلـه ، مجازفين بحياة عدد من المرضى ، وكأن فرارنا يمكن أن يؤدى إلى كارثة رهيبة ، تفوق خطورة إطلاق النار هنا .

كانت ترغب فى سؤاله عما يمكن أن يكون السبب الحقيقى ، وراء كل هذا ، إلا أن ذلك الشـىء الـذى يصنعه بالورقة ، جعلها تحدق فيه بدهشة واستنكار ، قبل أن تسأله :

- ماذا تصنع بالضبط ؟!

أجابها فى حسم :

- صاروخ من الـورق ، كـالذى كنـا نصنعـه فى طفولتنا .

سألته فى دهشة أكبر :

- وماذا ستفعل به ؟

رفع عينيه الساحرتين إليها ، وهو يجيب :

- سأحارب به قوة مكافحة الإرهاب .

حدّقت فى وجهه بدهشة بلغت ذروتها ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت قائد المكافحة ، وهو يقول بأقصى صرامة ، عَبْر مكبِّر الصوت :

- لم يعد أمامكما سوى اثنتى عشرة ثانية فحسب .. إحدى عشرة .. عشرة .

وبسرعة أسند (أدهم) كيس الكحول الكبير إلى حافة النافذة ، وأشعل ذيل الصاروخ الورقى ، وهو يقول فى حزم :

- استعدى أيتها الرائد .. لقد اقتربت ساعة الصفر .

لم تدر ما الذى ينبغى أن تفعلـه لتستعد ، فى مثل هذا الموقف ، لـذا فقد اكتفت بمراقبته ، وهو يلقى الصـاروخ المشـتعل نحـو قـوة مكافحـة الإرهـاب ، وتابعته وهـو يسبح فـى الهـواء ، ورجـال الفرقـة يراقبونه فى دهشة ، و ...

وانفجر كيس الكحول فجأة ..

الأكسجين المضغوط اندفع داخله ، فانتفخ حتى بلغ ذروته ..

ثم انفجر ..

ومـع انفجـاره ، تنـاثر منـه الكحـول على مساحة

واسعة للغاية من حديقة المستشفى ..

وتساقط بعض خيوط الكحول على الصاروخ المشتعل ..

وامتدت النيران بسرعة البرق ، من مكان إلى آخر ؛ لتغمر كل المساحة التى يحتلها الكحول ، فى ثوان معدودة ..

واشتعلت النيران فى حديقة المستشفى ..

واشتعل معها الموقف كله دفعة واحدة ..

وعلى نحو مخيف ..

وعنيف .





٨ - النيران ..

تهللت أسارير (منى) ، وهى تستقبل أمها ، فى حجرتها بالمستشفى ، وبدت عليها أمارات الفرح والسعادة ، مع هتافها :

- أمى .. كم تسعدنى رؤيتك اليوم ! كيف حالك وحال أبى ؟

احتضنتها أمها فى حنان ، وهى تقول :

- كلنا فى خير حال ، ووالدك يرسل إليك تحياته ، ولولا ذلك المرض الذى يقعده ، والذى يضطرنى للبقاء إلى جواره طوال الوقت ، لما تركناك لحظة واحدة .. لا يمكنك أن تتصورَّى كم يؤلمنا وجودك وحدك هنا .

ربتت (منى) على كتفها ، قائلة :

- اطمئنى يا أمى .. أبلغى تحياتى لأبى ، وأخبريه أننى ألقى هنا كل العناية والرعاية .

تنهدت أمها ، قائلة :

- لا أحد يمكنه منحك نفس العناية ، التى يمنحك إياها والداك .

ربتت (منى) على كتفها ثانية ، وهى تقول فى حنان :

- بالتأكيد يا أمى .. بالتأكيد .

طبعت أمها قبلة حانية على وجنتها ، وراحت ترتب فراشها فى عناية ، وهى تقول :

- بمناسبة الحديث عن الوحدة .. ابن شقيقتى (عماد) أتى لزيارتنا أمس ، وهو طبيب شاب ناجح كما تعلمين ، ولقد تحدث مع والدك بشأنك ، وطلب يـ ....

انعقد حاجبا (منى) ، وهى تقول فى عصبية :

- أمى .. ألم نحسم هذا الأمر من قبل ؟!

التفتت إليها أمها ، قائلة فى حدة :

- أى أمر ؟! هذه الأمور لا يمكن حسمها إلا بإجراء واحد .. كل البنات تتزوج ، وفى سن معقولة ، ولكنك ترفضين كل من يتقدم لطلب يدك ، وتتعلقين بأحبال تالفة .

هتفت (منى) :

- أمى .. أرجوك .

صاحت أمها :

- أعلم ماذا ستقولين .. وأعلم أيضًا ما يدور فى ذهنك . إنه هو .. أليس كذلك ؟!

أشاحت (منى) بوجهها ، دون أن تجيب ، فتابعت أمها فى غضب :

- إنك غارقة فى حبه منذ زمن طويل ، ولكن ما الذى جنيته من هذا ؟! ألا ترين ما أصابك ؟! ألا تنظرين كيف أصبحت ، بسبب تلك الحياة العنيفة ، التى تصرين على البقاء فيها ، واحتمال خطورتها ، حتى تظلين إلى جواره ؟!

قالت (منى) فى حدة :

- لقد اخترت عملى بإرادتى ، وسأظلّ متشبثة به ، حتى آخر لحظة فى عمرى .

وانخفض صوتها ، وارتجف ، مع تلك الدموع التى ترقرقت فى عينيها ، وهى تضيف :

- على الرغم من أننى لم أعد إلى جواره .

شعرت أمها بالعطف والشفقة تجاهها ، إلا أن هذا لم يمنعها من أن تقول فى عصبية :

- إنها تلك الجميلة .. أليس كذلك ؟

ازدردت (منى) لعابها فى صعوبة ، وهى تغمغم فى مرارة :

- تقصدين تلك الساحرة .

كانت ترغب فى التماسك أمام أمها ، إلا أن دموعها خدعتها ، وانهمرت من عينيها إلى وجنتيها ، على نحو انفطر له قلب أمها ، فاندفعت نحوها ، واحتوتها بين ذراعيها ، وهى تهتف :

- وا ابنتى المسكينة ! رباه ! إنك تحبينه بحق !

تركت (منى) دموعها تنسكب فى غزارة ، على صدر أمها الحنون ، التى ضمتها إليها أكثر وأكثر ، وهى تقول فى حنان جارف :

- إنها جميلة ، وربما ساحرة كما تقولين ، ولكنه لا يحبها .. إنه يحبك أنت ، وليس سواك .. صدقينى .. قلب الأم لا يكذب أبدًا .. إنه غارق فى حبك ، بنفس القدر الذى تغرقين فيه فى حبه ، حتى إنه يدهشنى أن أحدكما لا يقدم أبدًا على الخطوة الصحيحة .. لا أنت حاولت جذبه إلى حياة مستقرة هادئة ، ولا هو عرض الزواج منك ، أو ...

قاطعتها (منى) فى حزن :

- (أدهم) طلبنى للزواج أكثر من مرة يا أمى .

ارتفع حاجبا الأم فى دهشة بالغة ، وهتفت :

- طلبك للزواج !! أتقصدين فى الأونة الأخيرة أم ... ؟

قاطعتها مرة أخرى :

- لقد طلب هذا أكثر من مرة .

حدّقت أمها فى وجهها طويلاً بدهشة ، قبل أن تقول مستنكرة :

- ما الذى يعطل زواجكما إذن ؟!

عضت (منى) شفتها السفلى فى قوة ، حتى كادت تدميها ، وأشاحت بوجهها فى توتر ، وهى تجيب فى اقتضاب حازم :

- أنا .

جحظت عينا أمها من فرط الدهشة ، وهتفت :

- أنت ؟! أنت يا (منى) ترفضين الزواج منه ؟!

أجابتها (منى) فى حدة :

- نعم يا أمى .. أنا أرفض الزواج من (أدهم صبرى) .. أرفض الزواج من رجل تتمناه كل فتاة عاقلة ، فى العالم أجمع .. أرفض الزواج منه تمامًا .. هل رأيت شيئًا كهذا ، فى حياتك كلها ؟! هل عرفت فتاة ، ترفض بكل حزم ، الزواج من الرجل ، الذى تذوب عشقًا لظله ؟!

واصلت أمها التحديق فى وجهها بنفس الدهشة ، قبل أن تغمغم :

ـ هناك شىء لا أفهمه بالتأكيد .. هناك شىء لا يمكننى استيعابه .

مسحت (منى) دموعها ، وهى تقول فى حزم :

ـ اتركيه للزمن إذن يا أمى .. ومن يدرى ؟! ربما يكون فيه حل المشكلة كلها .

نطقت عبارتها الأخيرة هذه ، وعقلها يسبح بعيدًا .. بعيدًا للغاية ..

تسبح مع (أدهم) و (جيهان) ، فى مهمتهما الجديدة ، وقلبها يخفق بكل قوة ، ويتساءل فى توتر بلا حدود ..

تُرى أى خطر يواجههما هذه المرة ؟!

أى خطر يواجههما ..... معًا ؟!

* * *

من المؤكد أن ما فعله (أدهم) كان مباغتًا وغير مألوف أو متوقع ، من قبل فرقة مكافحة الإرهاب ، التى اعتادت الدخول فى مواجهات مباشرة عنيفة ،

مع إرهابيين قساة مسلحين ، لذا فقد أخذتهم المفاجأة ، على نحو يفوق المتوقَّع ، عندما اشتعل الكحول المنهمر ، كأمطار من النار ؛ لتلتقطه أجسادهم وثيابهم .

وعلى الرغم من أن الكحول سريع التطاير ، ولن يشتعل لفترة طويلة ، أو يسبب أضرارًا بالغة ، إلا أن المفاجأة أربكت الفرقة ، وجعلهتم يتراجعون ، ويلقون أسلحتهم ، ويعدون فى كل مكان من حديقة المستشفى ، والنيران تتراقص من ثيابهم ، فى مشهد يجمع ما بين الرهبة والسخرية ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، اندفع (أدهم) و(جيهان) خارج الحجرة ، فى مواجهة رجال أمن المستشفى مباشرة ..

ولأن الرجال الخمسة كانوا ينتظرون الإشارة ، للانقضاض على (أدهم) و (جيهان) ، فى حجرة (إيفا) ، فقد أدهشهم وأربكهم أن ينعكس الأمر على هذا النحو ، وتأتى الانقضاضة من الخصم ، المنتظر الانقضاض عليه ..

ثم إن (أدهم) و (جيهان) تحركا بسرعة

مدهشة ، لم يألف رجال أمن المستشفى التعامل معها قط ..

ففى الثانية الأولى ، ألقى (أدهم) محقنًا فارغًا ، لتنغرس إبرته فى معصم أحد الرجال الخمسة ، الذى أطلق صرخة ألم ، ومسدسه يفلت من يده ، ويسقط عند قدميه ، فى نفس اللحظة التى انزلقت فيها (جيهان) فى براعة مدهشة ، على الأرضية المصقولة الناعمة ، نحو رجل آخر ، وركلته فى ساقيه معًا ، وهى تقول ساخرة :

- قل لى أيها الوغد : هل شاهدت من قبل رشاقة كهذه ؟!

سقط الرجل أرضًا فى عنف ، وقبل أن يرتطم ظهره بالأرض ، تلقّى فكه ركلة كالقنبلة من قدمها اليسرى ، وانثنى جسدها فى مرونة ، لتلتقط مسدسه ، قبل أن يلمس الأرض ، ودارت حول نفسها فى سرعة ، خُيِّل إليها أنها مدهشة ؛ لتصوِّب المسدس نحو أحد الثلاثة الآخرين ، و ...

واتسعت عيناها فى دهشة بالغة ، وهى تحدّق فى رجال أمن المستشفى ، الذين سقطوا عند قدمى

(أدهم) فاقدى الوعى ، وهذا الأخير يلتقط مسدس أحدهم ، قائلاً فى حزم :

- عظيم .. حتى الآن لم تنطلق رصاصة واحدة .. هذا يناسب تمامًا طبيعة القتال فى المستشفى .

هبّت واقفة ، وهى تقول فى دهشة :

- كيف أمكنك أن ...

لم تكمل سؤالها ، الذى بدا لها سخيفًا مضحكًا ، فى حين قال هو فى صرامة :

- لا تقفى هكذا أيتها الرائد .. نيران الكحول ستنطفئ فى سرعة ، وستبقى نيران الغضب ، فى أعماق فرقة مكافحة الإرهاب ، وهذا يعنى ضرورة أن نتحرّك قبلهم .

أشارت إلى حجرة زوجة البروفيسير ، وهى تسأل متوترة :

- ماذا عنه ؟! هل نتركه خلفنا ؟

أجاب فى حزم ، وهو يندفع عائدًا إلى الحجرة :

- كلاّ بالطبع .. لو تركناه خلفنا ، فلن نعثر له على أثر ، عند عودتنا إليه .

لم يكد البروفيسير يلمحهما عائدين إلى الحجرة ، حتى تراجع ملتصقًا بالجدار فى ذعر ، هاتفًا :

ـ ألم ترحلا بعد ؟!
أجابه (أدهم) بسرعة :
ـ لا يمكننا أن نرحل بدونك يا بروفيسير .
هتف الرجل معترضًا :
ـ مستحيل ! لن أترك زوجتى وحدها ؟!
قال (أدهم) فى صرامة :
ـ أخشى أننا مضطرون لهذا يا سيدى ، فالأمر لا يحتمل المناقشة ، أو إضاعة دقيقة واحدة ، إذ إنه لن تمضى دقائق معدودة ، حتى يكتظ المكان برجال الشرطة الغاضبين ، الذين يميلون إلى استخدام مسدساتهم ومدافعهم الآلية ، بأسرع مما يستخدمون عقولهم وعيونهم .
تراجع البروفيسير أكثر ، وهو يقول فى عناد :
ـ لن أترك زوجتى قط .
هتفت به (جيهان) فى توتر :
ـ حاول أن تستوعب الأمر يا رجل .. زوجتك ستحظى برعاية طبية كاملة هنا ، وأنت ستحظى بحمايتنا ، فما الذى يمكن أن تطلبه أكثر .
بدا العناد أكثر وأكثر على وجه البروفيسير ، الذى

ضمّ شفتيه ، والتصق بالجدار فى قوة ، وهو يرمقهما بنظرة صارمة ، فقال (أدهم) فى ضجر :
ـ معذرة إذن يا بروفيسير .. إنك لم تترك لى حلًا بديلًا .
ومع آخر حروف كلماته ، هوت قبضته بلكمة مدروسة ، على فك البروفيسير ، الذى جحظت عيناه لحظة ، قبل أن يهوى فاقد الوعى بين ذراعى (أدهم) ، الذى تلقفه بسرعة ، وحمله على كتفه ، و (جيهان) تهتف :
ـ يا له من رجل عنيد !
أجابها ، وهو يتحرّك بسرعة :
ـ كل العلماء كذلك !
سألته فى قلق ، وهى تعدو إلى جواره ، عبر ممر المستشفى :
ـ كيف سنخرج من هذا الموقف ؟!
أجابها بلهجة حاسمة :
ـ ليس لدينا سوى مخرج واحد .
سألته فى لهفة :
ـ وما هو ؟!

سألته فى قلق ، وهى تعدو إلى جواره ، عبر ممر المستشفى :
ـ كيف سنخرج من هذا الموقف ؟! ..

فى نفس اللحظة ، التى راح يشرح فيها خطته ، كان قائد فرقة مكافحة الإرهاب يطفئ آخر ما علق بثيابه من النيران بكفيه ، وهو يقول فى غضب عارم :

ـ مبادرة جريئة ذكية ، ولكنها لن تنقذهما .. هيا يا رجال .. سنريهما كيف تعمل فرقتنا .

التقط الرجال أسلحتهم فى غضب واضح ، وصاح أحدهم :

ـ أقسم أن أنسف رأسيهما فور رؤيتهما .

قال آخر فى توتر :

ـ ولكن الأوامر لا تحتم قتلهما ، إلا لو لم يكن هناك بديل ، أو ..

قاطعه القائد فى صرامة غاضبة :

ـ أو أبديا مقاومة عنيفة يا رجل .. ورسميًّا .. سأعتبر ما فعلاه مقاومة عنيفة ، وسيشهد العشرات أن النيران قد اشتعلت فى مساحة واسعة ، من حديقة المستشفى .

ثم التفت إلى باقى الرجال ، متابعًا بلهجة آمرة :

ـ هيا يا رجال .. سننقسم إلى نصفين .. النصف الأوّل سيحاصر المبنى بأكمله ، ولن يسمح بدخول أو

خروج أى شخص منه ، مهما كانت الأسباب ، أما النصف الثانى ، فسيقتحم المكان معى .. وتذكَّروا أن الرجل والفتاة مصابان بفيروس مخيف ، وأن بقاءهما على قيد الحياة قد يعنى انتشار وباء جهنمى ، فى طول البلاد وعرضها ، مما يعنى مصرع أبنائنا ، وبناتنا ، وزوجاتنا ، وكل أحبائنا .. تذكَّروا أن أملنا الوحيد فى النجاة والحياة هو أن نقتلهما فور رؤيتهما .. وبلا رحمة .

اشتعلت نيران الغضب والحماس فى عروق الرجال ، فحمل كل منهم مدفعه الآلى ، وقنابله اليدوية ، واندفعوا نحو المبنى ، و ...

وفجأة ، انطلقت سيارة إسعاف كبيرة ، من مخرج الطوارئ بالمستشفى ، واندفعت عبر الحديقة بسرعة كبيرة ، فهتف القائد :

- إنهما الهاربان .. لا تسمحوا لهما بالفرار قط .. أطلقوا النار .

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان دوى الرصاصات يصمّ الآذان ، فى المنطقة كلها ، ويثير موجة لا مثيل لها من الرعب والفزع ، داخل وخارج المستشفى ..

وبكل غضبهم وقوتهم ، وأسلحتهم القوية ، انطلق رجال مكافحة الإرهاب خلف سيارة الإسعاف ، يمطرونها بالنيران ، ويطلقون صرخات رهيبة مخيفة .

وصرخ قائدهم ، وهو يعدو خلف السيارة :

- الإطارات .. أطلقوا النار على الإطارات .

أطاعه الجميع بسرعة مذهلة ، تدرَّبوا عليها طويلاً ، وانطلقت رصاصاتهم نحو إطارات السيارة ، التى انفجرت فى تتابع عنيف ، فاختلّ توازن السيارة ، ومالت إلى اليسار فى عنف ؛ لترتطم بإفريز مرتفع ، وانطلقت من إطاراتها المنفجرة شرارات عنيفة ، وهى تحتكّ بالإفريز ، قبل أن تقفز على نحو مخيف ، وتسقط على جانبها ، وتواصل اندفاعها ، حتى ترتطم بسور المستشفى ..

وعلى الرغم من سقوطها وانقلابها ، واصل الرجال إطلاق النار نحوها طويلاً ، وهم يعدون نحوها ، ويحيطون بها ، وكأنما يخشون منح ركابها فرصة ، ولو ضئيلة ، للنجاة ، حتى صاح بهم قائدهم ، وهو يرفع يده عاليًا :

- كفى .. كفى .

لـم يكـد صوتـــه يبلـغ مسـامعهم ، وسـط دوى الرصاصات ، حتى توقَّف إطلاق النيران على الفور ، وساد هدوء مباغت ، وكلهم يصوِّبون مدافعهم نحو السيارة فى تحفز ، فتحرَّك القائد نحوها ، وهو يشـهر مسدسه بدوره ، وانحنى يلقى نظرة داخلها فى حذر زائد ، و ...

« اللعنة !.. »

انطلقت الصرخة من أعماقه ، حاملة كـل دهشته ، وغضبه ، وسخطه ، وحنقه ، وثورتـه ، وإحساسـه بالمهانة والعار ..

فلقد كانت السيارة خالية تمامًا ..

كل ما وجده داخلهـا مجرَّد ذراع مـن المعدن ، تم وضعه بوسيلة ذكية ، بحيث يضغط دوَّاسةَ الوقود ، ويدفـع السـيارة إلـى الانطـلاق طـوال الوقـت ، دون سائق .

وفى نفس اللحظة ، التى أطلق فيها القائد صرختـه الهادرة ، انطلقت سيارة أخرى من مرأب المستشفى .

سيارة يقودهـا (أدهـم) ، وتجلـس إلـى جـواره (جيهـان) ، فى حين غطس البروفيسير (مانهـايم)

فى مقعده الخلفى فاقد الوعى ..

وقبل أن يفيق القائد من دهشته وسخطه ، كـانت السيارة قد قطعت حديقـة المستشفى ، ووثبت عـبر بوَّابتها ، ثم انحرفت إلى الطريق بحركـة حـادة عنيفـة قوية ، تشفَّ عن براعـة قائدهـا وخبرتـه ، وانطلقت بسرعة كبيرة ، وإطاراتها تطلق صريرًا مخيفًا ، انتزع القائد من ذهوله ، فصرخ فى جنون :

ـ أطلقوا النار .. لا تسمحوا لهما بالفرار .

وعـادت الرصاصـات تـدوى فـى المنطقـة ، خلـف سيارة (أدهم) ..

ولكن السيارة كانت قد ابتعدت بالفعل ..

ولم يعد من الممكن أن تبلغها الرصاصات ..

ودون أن يضيـع لحظـة واحـدة ، اندفـع القـائد نحـو إحدى سيارات الفرقة ، وتبعه رجاله ، داخل سيارتين أخريـن ، وانطلقوا جميعًا خلف سيـارة (أدهـم) ، لتبدأ مطاردة جديدة ، فى شوارع (ريو دى جانيرو) ..

وفى توتر زائد ، أحصت (جيهان) ما تبقَّى لهمـا من ذخيرة ، قبل أن تشير بيدها ، وتقول :

ـ ثمانى عشرة رصاصة فحسب .. يا إلهى ! الموقف

ما زال دقيقًا وبالغ الخطورة يا سيادة العميد .. لقد بدءوا مطاردتنا بالفعل ، بثلاث سيارات قوية ، لن تصمد أمامها سيارة الطبيب الرقيقة هذه

ألقى (أدهم) نظرة على مرآة السيارة الجانبية ، دون أن يعلق على عبارتها ، فقد كان يدرك جيدًا أن فارق القوة ، بين السيارة التى يقودها ، والسيارات التى تطارده هائلاً ، والدليل أنه ينطلق بأقصى سرعة للسيارة ، وعلى الرغم من هذا ، فالمسافة التى تفصله عن السيارات الثلاث تتناقص بسرعة ..

وفى حزم ، انعقد حاجباه ، وقال ، وهو ينحرف بالسيارة ، فى حركة حادة مباغتة :

ـ السر لا يكمن فى القوة يا زميلتى ، وإنما فى الخبرة .

تشبثت بحاجز الباب فى قوة ، عندما مال جانبًا ، وإطارات السيارات تطلق صريرًا آخر ، ثم اعتدل بسرعة ، وقفز إلى الإفريز ، وانطلق فوقه ، على نحو جعل المارة يعدون فى كل الاتجاهات ، فهتف قائد الفرقة فى حنق ، وهو يلتقط مسماع جهاز اللاسلكى فى سيارته :

ـ اللعنة !.. الرجل بارع بحق ، ولكنه لن يفلت منى قط .

ثم هتف عبر المسماع :

ـ من الفرقة (أ) إلى كل فرق الشرطة ، فى المنطقة (٦٠٧) .. نطارد الهدف ، الذى ينطلق داخل سيارة (بويك) بيضاء ، ذات قمة حمراء .. إنه يتجه نحو الشارع الثالث عشر .. اعترضوا طريقه فى كل تقاطع ممكن ، وكل منحنى .. لا تسمحوا له بالفرار قط ، مهما كان الثمن .. أكرر.. مهما كان الثمن .

ومع آخر حروف هتافه ، انحرف (أدهم) إلى شارع جانبى ضيق ، وضغط دواسة الوقود فى قوة ، لينطلق عبره بأقصى سرعة ، فانحرفت السيارات الثلاث خلفه بنفس السرعة ، إلا أن ثقلها لم يسمح لها بنفس المناورة ، فانزلقت إطارات إحداها ، وزحفت فوق الطريق بحركة عنيفة لترتطم بجدار أحد المبانى المجاورة ، قبل أن تنطلق خلف سيارة (أدهم) ، وخلفها السيارتان الأخريان .

وتواصلت المطاردة ..

وهتفت (جيهان) فى عصبية :

- (أدهم) .. إنهم يحاصروننا .

أجابها ، وتوتره يبلغ مبلغه :

- أعلم هذا .

ألقت نظرة متوترة على المقعد الخلفى ، حيث يرقد البروفيسير ، ثم اعتدلت قائلة :

- كيف يمكن أن ...

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها فى شدة ، وهى تحدق فى نهاية الطريق ، حيث برزت سيارتا شرطة ، تتجهان نحو بعضهما ، لسد الطريق أمام سيارتهما ..

طريق النجاة الوحيد ..

★ ★ ★

غمغم (كوادروس) ، أكثر رجال السنيورا قوة وضخامة ، وهو يقود السيارة الكبيرة ، التى تقله مع (أندروفيتش) وباقى رجال الفريق :

- يا لنا من سعداء الحظ ! لو تأخر إقلاعنا من (فيلامونتز) ساعة واحدة ، لما أمكننا الوصول إلى هنا قط .

انعقد حاجبا الروسى ، وهو يسأله فى صرامة :

- ولماذا ؟!

أجابه (كوادروس) :

- بيانات الطقس تشير إلى أن رياحًا قوية فى طريقها إلى هنا ، وستبلغ سرعتها أربعمائة كيلومتر فى الساعة ، وهى أقوى رياح عرفتها المنطقة ، منذ مائة عام على الأقل ، وهم يحذرون الجميع ، ويطالبونهم بالقبوع فى منازلهم ، وإغلاق النوافذ والأبواب جيدًا ، حتى لا تصيبهم أية أضرار من تلك العاصفة .

ازداد انعقاد حاجبى (أندروفيتش) ، دون أن يعلق على حديثه ، وبدا وكأن مشاعره كلها قد توقفت ، وانزاحت جانبًا ؛ لتفسح المجال لفكرة واحدة ، تتضخم فى أعماقه ، وتحتل كيانه كله ، منذ بدأ كل هذا ..

فكرة القضاء على (أدهم صبرى) ..

لم يكن يعنيه فى الواقع أن تحصل السنيورا على البروفيسير (ماتهايم) أو تفقده ..

بل لم يكن يهتم بمشروعها النووى ، الذى يبدو له خرافيًا مبالغًا ، يصعب إخراجه إلى عالم الواقع ..

وإنما كان كل ما يهمه ويعنيه هو أن يظفر بـ (أدهم) ، ويحمل إلى الأبد لقب الرجل ، الذى قضى على الأسطورة ..

أسطورة عالم المخابرات ..

إنه حلمه منذ الأزل ..

منذ قرأ ملفات (أدهم) ، ودرسها جيدًا ، فى أثناء عمله ، فى جهاز المخابرات السوفيتى ..

ومنذ بدأ عمله مع السنيورا ..

صحيح أنه وضع خطة الاستيلاء على (اليورانيوم) ، وبيعه للسنيورا ؛ ليظفر بالمكافأة الضخمة ، التى وعدته بها ، والتى ستسمح له بالعيش فى إحدى الدول الرأسمالية ، ما تبقّى له من العمر ..

إلا أن هذا لم يكن السبب الوحيد لعمله معها ..

لقد كان السبب الحقيقى هو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ، الذى ارتبط اسمه بظهور السنيورا ومنظمتها القوية ..

وبتدمير هذه المنظمة فى (المكسيك)(*) ..

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

كان واثقًا من أنه لن يلبث أن يظهر ، إن عاجلاً أو آجلاً ، ما دامت السنيورا قد استأنفت نشاطها ..

وكان يحلم بفرصة كهذه ..

فرصة مواجهة (أدهم صبرى) ..

فرصة حفر اسمه فى قلب تاريخ المخابرات ..

« سنيور (أندروفيتش) ... »

انتزعه النداء من أفكاره ، فالتفت إلى صاحبه ، وقال فى صرامة :

ـ ماذا تريد ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ أحد عملائنا فى جهاز الشرطة ، أبلغنا أنهم يطاردون (أدهم) وزميلته ، فى شوارع (ريو) ، وأنهم يحاصرونهما الآن فى الشارع الثالث عشر ، ويوشكون أن يظفروا بهما .

أطلّ بريق عجيب من عينى (أندروفيتش) ، وهو يردّد :

ـ الشارع الثالث عشر ؟!..

وعاد حاجباه ينعقدان فى شدة ، وارتسمت على وجهه أمارات التفكير العميق بضع لحظات ، قبل أن

يقول لـ (كوادروس) فى حزم :

- أعطنى خريطة المدينة .

ناوله (كوادروس) الخريطة ، وهو يسأله فى اهتمام :

- هل ستبحث عن الشارع الثالث عشر ؟!

أجابه (أندروفيتش) فى صرامة شديدة :

- اصمت .

لاذ الرجال جميعهم بالصمت ، وإن تعلَّقت عيونهم كلها به فى لهفة وفضول ، وهو يراجع الخريطة فى اهتمام بالغ ، قبل أن تتألَّق عيناه ، ويقول فى حزم عجيب :

- بالتأكيد .. من المحتم أن يتخذ هذا المسار .

ثم التفت إلى (كوادروس) ، مستطردًا بلهجة آمرة صارمة ، وهو يشير إلى نقطة بعينها ، على خريطة المدينة :

- انطلق بنا هذه البقعة .

تابع الجميع سبابته ، وهو يشير إلى المنطقة المعنية ، ثم تفجَّرت فيهم موجة عنيفة من الدهشة ..

فالبقعة التى أشار إليها ، بكل الثقة والحزم ، لم تكن حتى قريبة من الشارع الثالث عشر ، حيث تم تحديد موقع (أدهم) لآخر مرة ..

بل كانت بقعة بعيده ، وعجيبة ..

وإلى أقصى حد .





٩ ـ الخط الثالث ..

عقد الجنرال (دوايت) كفيه خلف ظهره ، وهو يتابع فى اهتمام بالغ التجارب الجديدة ، للطراز المعدَّل من مشروع (السوبرمان)(*) ، بعد تزويده بدروع مضادة للصواريخ ، وراح يومئ برأسه فى ارتياح ، مع النتائج المدهشة ، التى حققها المشروع ، بعد التعديلات الجديدة ، ثم التفت إلى مساعده ، قائلاً :

ـ عظيم يا (ألكسندر) .. عظيم .. كل شىء متقن هذه المرة .. أراهن على أنه حتى الدبابات الجديدة ، لا يمكنها هزيمته .

ابتسم المساعد ، قائلاً فى شىء من الزهو :

ـ لقد رأيته بنفسك يا سيِّدى ، يواجه فريقًا من أعتى رجالنا ، وأفضلهم تدريبًا وخبرة ، مع ثلاث مدرعات ، وهليوكوبتر حربية ، ويهزمهم جميعًا خلال نصف الساعة فحسب .

قال الجنرال فى حزم :

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

ـ هذا صحيح .

ثم استدرك فى حنق مباغت :

ـ ولكنه أعطى نتائج مبهرة أيضًا ، فى الاختبارات السابقة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد دمَّره رجل واحد(*) .

بدا الضيق على المساعد ، وغمغم :

ـ كان هذا خطأ لا يُغتفر يا سيِّدى ، ولقد اتخذنا كل الاحتياطات الممكنة ، لضمان عدم تكراره .

مطَّ الجنرال (دوايت) شفتيه ، وهو يقول :

ـ أتعشَّم هذا يا (ألكسندر) .. اتعشَّم هذا .

وعاد يتابع التجارب بكل اهتمام ، فى حين اقترب أحد الجنود من (ألكسندر) ، وهمس فى أذنه :

ـ سيِّدى .. هناك مكالمة مهمة فى انتظارك ، على الخط السرى الخاص .. امرأة تقول : إنها تريد التحدُّث إليك على الفور .

استدار إليه (ألكسندر) ، قائلا فى دهشة :

ـ امرأة ؟!

أومأ الجندى برأسه إيجابًا ، وهمس :

(*) راجع قصة (قبضة الشر) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

- نعم يا كولونيل .. امرأة ، ولقد طلبت منى أن أخبرك أنه لو لم تتحدَّث إليها على الفور ، فستزحف آتية إليك كالأفعى .

لم يكد الجندى ينطق الكلمة الأخيرة ، حتى امتقع وجه (ألكسندر) ، واختلس نظرة مذعورة إلى الجنرال ، الذى انشغل تمامًا فى مراقبة التجربة ، ثم همس للجندى فى عصبية :

- فليكن .. سأتحدَّث إليها على الفور .. أخبرها أننى فى طريقى إليها .

أدى الجندى التحية العسكرية ، وانصرف لينفذ الأمر ، فى حين التقط الكولونيل (ألكسندر) نفسًا عميقًا ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه ، قبل أن يرسم على وجهه ابتسامة شاحبة زائفة ، ويقول :

- معذرة يا جنرال .. هناك بعض الأمور ، التى تحتاج إلى من يحسمها .

مط الجنرال شفتيه ، مغمغمًا :

- لا بأس يا (ألكسندر) .. لا بأس .

اسرع الكولونيل إلى حجرته ، وانعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وهو يغمغم :

- ما الذى تفعله هذه الحمقاء ؟! لقد أخبرتها ألا تتصل بى مباشرة ، إلا للضرورة القصوى !

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وبذل جهدًا حقيقيًا ، ليكتم رنة الحنق فى صوته ، وهو يقول :

- مساء الخير يا سنيورا .. كيف حالك ! من المؤكَّد أنه أمر بالغ الأهمية ، ذلك الذى ..

قاطعته السنيورا بغتة :

- قل لى يا (ألكس) : أما زال أصدقاؤك يجيدون صنع الأسلحة الجديدة .

شحب وجه (ألكسندر) بشدة ، وهو يقول :

- سنيورا .. تلك الأمور لا ينبغى التحدث عنها ، عبر أسلاك الهاتف .

قالت فى صرامة :

- أريد جوابًا حاسمًا حازمًا يا (ألكس) .. نعم أم لا .

جفَّف الرجل عرقًا وهميًا ، وهو يقول :

- نعم يا سنيورا .. نعم .

أحنقه صوتها الهادئ ، وهى تقول :

- عظيم .. إلى أى مدى يمكنهم هذا ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وتلفَّت حوله فى توتر بالغ ، وهو يجيب :

ـ إلى أى مدى يا سنيورا .. أى مدى .

قالت فى برود مستفز :

ـ أمر جيِّد يا (ألكس) .. لن يكون عليك إذن سوى أن تنقل إليهم الرسوم والتصميمات ، وتخبرهم أننى أريد السلاح الجديد خلال ثلاثة أيام فحسب .

خفق قلبه فى عنف ، وهو يسأل :

ـ أى سلاح يا سنيورا ؟!

أجابته فى حزم :

ـ أحدث سلاح لديكم يا (ألكس) .. السلاح الذى قمتم بتطويره ، بحيث يسحق أقوى الرجال فى العالم .

واكتسى صوتها بلهجة عجيبة مخيفة ، وهى تضيف :

ـ (السوبرمان) .. مشروع (السوبرمان) الجديد .

وانتفض جسده كله بمنتهى العنف ..

وهوى قلبه بين قدميه دفعة واحدة ..

فما تريده هذه المرة لم يكن عسيرًا فحسب ..

بل كان مستحيلاً ..

مستحيلاً تمامًا ..

وبكل توتره وذعره ، هتف (ألكسندر) :

ـ مستحيل يا سنيورا !! مستحيل ! هذا السلاح على أعلى درجة من السرية والخطورة ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ مليونا دولار يا (ألكس) .

بُهتَ للرقم ، وغمغم :

ـ مليونا دولار ؟!!

أجابته بنفس الصرامة :

ـ نعم .. ستحصل على مليونى دولار ، مقابل التصميمات والرسوم الأوَّلية فحسب ، هذا بخلاف تكلفة التصنيع بالطبع .

ارتجفت شفتاه ، وعاد قلبه يخفق بمنتهى العنف ، وهو يقول فى تردُّد :

ـ ولكن يا سنيورا ..

قاطعته فى صرامة :

ـ أمامك ثلاثة أيام فحسب يا (ألكس) ، وإلا ...

لم تتمّ عبارتها ، وإنما أنهت المحادثة فى عنف ،

وتركت قلبه خلفها يواصل الخفقان فى عنف ، وينتفض ..

وينتفض ..

وينتفض ..

★ ★ ★

بسرعة البرق ، درس عقل (أدهم) الموقف كالمعتاد ..

ثلاث سيارات قوية تطارده ، وسيارتان تتقاربان ، فى نهاية الشارع ، لقطع الطريق أمامه ، واعتراض سبيله ..

وتركّز عقله عند نقطة واحدة ..

سيارتا الشرطة ، اللتان تقتربان من بعضهما ، عند نهاية الشارع ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، استلّ مسدسه بيسراه ، وضغط دوّاسة الوقود بقوة أكبر ، وهو يتشبث بالمقود بيمناه ، ويهتف :

ـ الإطارات يا (جيهان) .

ومع أوّل حروف هتافه ، انطلقت رصاصاته نحو إطارات سيارتى الشرطة ..

وبسرعة مدهشة ، لحقت بها رصاصات (جيهان) .. وبدقة أفزعت رجال الشرطة والمارة ، انفجرت إطارات سيارتى الشرطة ، وتحطّم زجاجها ، وأصيب خزان وقود إحداها ، فتوقفتا دفعة واحدة ، وانطلق رجال الشرطة خارجهما فى ذعر ، وسيارة (أدهم) تنطلق نحوهما بأقصى سرعتها ، وخلفها سيارات مكافحة الإرهاب ، وقائدها يصرخ فى غضب :

ـ اللعنة !.. الحقوا بهما .. امنعوهما بأى ثمن ..

كانت المسافة بين سيارتى الشرطة أقل من أن تمرّر سيارة (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير واصل انطلاقه نحوها بأقصى سرعته ، و (جيهان) لا تتوقّف عن إطلاق رصاصاتها ، فى محاولة لإبعاد رجال الشرطة ..

ثم حدث الاصطدام ..

الجانب الأيسر لسيارة (أدهم) تفادى سيارة الشرطة المجاورة له ، فى حين ارتطم الجانب الأيمن بسيارة الشرطة الأخرى فى عنف ، فتحطّمت مصابيحه ، واقتلع الجزء الأمامى من جسم السيارة ، مع الباب المجاور لـ (جيهان) ، التى تراجعت مطلقة

شهقة قوية ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه شرارات قوية ، من احتكاك السيارتين العنيف ، وطار حاجز تصادم سيارة (أدهم) الأمامى ، وسقط تحت إطاراتها ، و (أدهم) يمسك عجلة قيادتها بأقصى قوته ، للسيطرة على مسارها ، وهو يواصل الضغط على دواسة وقودها ، وسط ضجيج هائل ، ضاعت معه صيحات (جيهان) ، وصرخات المارة ، وصرير إطارات سيارات مكافحة الإرهاب ..

ولكن السيارة عبرت الحاجز ..

عبرته فى صورة مزرية ، وقد فقدت جانبها الأيمن كله تقريبًا ، إلا أنها لم تتوقف ، أو تخفف حتى من سرعتها ، وهى تنحرف فى الشارع الجانبى ، وتواصل انطلاقها عَبْره ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ قائد فرقة المكافحة :

- اللعنة !.. لقد فعلها .. ذلك الشيطان فعلها ..

قالها ، وسيارته تندفع بدورها نحو سيارتى الشرطة ، وترتطم بإحداها فى قوة ؛ لإزاحتها عن الطريق ، ومواصلة المطاردة ..

ولكن سيارة الشرطة لم تحتمل ذلك الارتطام العنيف ،

الذى اشترك مع الرصاصة ، التى أصابت خزان وقودها ، و ...

وحدث الانفجار ..

انفجرت سيارة الشرطة فى عنف ، وانطلقت كل موجة انفجارها نحو سيارة القائد ، فمالت على جانبها الأيسر فى شدة ، ثم انقلبت ، وراحت تدور حول نفسها ، وحاولت السيارة التالية لها أن تتوقَّف فى الوقت المناسب ، إلا أنها لم تنجح فى تفادى الارتطام بها ، ولا فى منع السيارة الثالثة من الاصطدام بها بدورها ..

ومع ذلك الاضطراب الشديد ، الذى ساد نهاية الشارع الثالث عشر ، واصلت سيارة (أدهم) ابتعادها بأقصى سرعة ، و (جيهان) تطلق زفرة عصبية داخلها ، وتقول :

- يا إلهى ! تصوَّرت بعض الوقت أننا لن نتجاوز هذا الموقف قط .

أجابها (أدهم) فى حزم :

- لقد تجاوزنا ما هو أكثر دقة وصعوبة ، بفضل الله (سبحانه وتعالى) أيتها الرائد .

تطلعت إليه بنظرة جانبية ، وقالت فى حنق :

ـ هذه التعاملات الرسمية تصيبنى بالضجر .

ابتسم ، قائلاً :

ـ فليكن .. إنها لا تروق لى أيضًا ، ولكنك تصرين على تذكيرى برتبتك ، ما بين الحين والآخر .

ضحكت قائلة :

ـ يمكنك اعتبارها محاولة للتأثير عليك .

ورمقته بنظرة أخرى ، قبل أن تستطرد بصوت خافت متهدّج :

ـ ما دام جمالى قد فشل فى هذا .

صمت تمامًا ، ولم يحاول التعليق على عبارتها ، وتشاغل بمراقبة الطريق ، فعقدت حاجبيها فى ضيق ، ولاذت بالصمت بدورها ، حتى سمعته يقول :

ـ هذه تناسبنا تمامًا .

أدارت عينيها إلى حيث ينظر ، فى نفس اللحظة التى أوقف فيها السيارة نصف المحطمة ، إلى جوار سيارة كبيرة قوية ، من طراز (لاندروفر ٤×٤) ، فسألته :

ـ هل تقصد أننا ...

غادر السيارة ، وهو يخرج من جيبه مطواته السويسرية متعدّدة الأسلحة ، مجيبًا :

ـ بالتأكيد يا زميلتى العزيزة .. إننا نقود سيارة متميِّزة للغاية ، بعدما أصابها من تلفيات ، ولن يجد رجال الشرطة أية صعوبة فى العثور عليها ، خلال دقائق معدودة .

وراح يعالج رتاج السيارة بأحد أسلحة المطواة ، وهو يتابع :

ـ ثم إن الطريق الذى سنتخذه ، يحتاج إلى سيارة قوية كهذه .

غادرت السيارة بدورها ، وهى تسأله فى اهتمام فضولى :

ـ وما الطريق الذى سنتخذه بالضبط ؟!

أجابها ، وهو يواصل معالجة الرتاج فى مهارة وسرعة :

ـ هل نسيت أننى قمت بنفسى بتوزيع نشرة تحمل صورة البروفيسير ، على كل نقاط المراقبة والشرطة ، عبر شبكة الكمبيوتر ، وأننا لم نعد نستطيع الخروج به من (ريو دى جانيرو) ، عبر الطرق الرسمية ؟!

راقبته فى انبهار ، وهو يفتح باب السيارة ، ثم يسرع بنقل البروفيسير الفاقد الوعى إلى مقعدها الخلفي ، وسألته :

ـ أتعنى أننا سنتخذ طريقًا غير رسمى ؟

أشار إليها بركوب السيارة ، واتخذ هو مقعد القيادة ، وراح ينتزع بعض أسلاك التوصيل داخلها ، وهو يجيب :

ـ ليس بالضبط ، ولكننا سنتخذ سبيلاً لا يتوقَّع أحد لجوءنا إليه .

سألته :

ـ ولماذا ؟!

أوصل سلكين رفيعين ، فدار محرك السيارة ، وانطلق بها ، مجيبًا :

ـ لأنه لا أحد من العقلاء يمكن أن يتخذه .

ارتفع حاجباها فى دهشة لإجابته ، وتطلَّعت إليه فى حيرة ، وهو ينطلق عبر شوارع المدينة فى هدوء واثق ، وأبواق سيارات الشرطة تتردَّد فى المنطقة ، وتقترب من المكان الذى تركا فيه السيارة الأخرى ، ثم سألته فى توتر شديد :

ـ أى طريق هذا ؟!



غادر السيارة ، وهو يخرج من جيبه مطواته السويسرية متعدِّدة الأسلحة ..

أخرج من جيبه خريطة المدينة ، وفردها أمامها ، وأشار إلى نقطة ما فيها ، وهو يجيب فى اقتضاب حاسم :

ـ هذا .

ضاقت عيناها ، وهى تتطلع إلى حيث أشار ، قبل أن تقفز الدهشة لتملأ ملامحها كلها عن آخرها ..

فقد كان على حق تمامًا ..

ذلك الطريق لا يمكن أن يتخذه العقلاء .. مطلقًا ..

★ ★ ★

« إنها فضيحة .. فضيحة مخجلة .. »

نطق المفتش (باندرياس) العبارة فى غضب هادر ، وهو يدقّ سطح المكتب بقبضته ، فانعقد حاجبا قائد فرقة مكافحة الإرهاب ، وتحسّس الضمادات المحيطة برأسه ، وغمغم فى عصبية :

ـ كنا ننفذ الأوامر فحسب .

قال المفتش فى غضب :

ـ ومن أصدر مثل هذه الأوامر ؟! مجرَّد تحذير عبْر شبكة الكمبيوتر ، وأمر مجهول المصدر بالسعى لإلقاء

القبض على الرجل ، والقضاء عليه ، مع توصية بالاستعانة بفرق مكافحة الإرهاب ، لتحقيق هذا !! هل سنهرع لتنفيذ كل أمر يدسّ علينا ، من أى مصدر مجهول ، دون التحقّق منه ؟!

قال القائد فى حدة :

ـ ومن أدرانا أنه أمر زائف ؟! لقد تصوّرنا أننا نحمى الوطن بما نفعله .

صرخ المفتش فى وجهه :

ـ تحمون الوطن ، عن طريق إثارة الرعب والفزع فى منطقة سكنية كاملة ، وفى قلب مستشفى يكتظ بالمرضى .. إنها فضيحة كبرى .. أضخم فضيحة عرفها جهاز الشرطة ، طوال القرن السابق بأكمله .. بل كارثة ، يتم بسببها استجواب وزير الداخلية فى مجلس الوزراء الآن ، وربما تؤدى إلى استجواب الحكومة كلها ومساءلتها ، أمام المجلس النيابى ، أو رئيس الجمهورية ، وبالتالى إلى الإطاحة بنا جميعًا .

شعر قائد فرقة مكافحة الإرهاب بالغضب والحنق والقهر ، فلم يملك إلا أن يكرر فى عصبية :

ـ كنا ننفذ الأوامر فحسب .

لوّح المفتش بذراعه ، قائلاً :

ـ هذا ليس عذرًا .. لن يغفر أحد ما حدث ، لمجرَّد أنكم كنتم تنفذون الأوامر .. لن يرحمكم أحد ..

قال القائد فى عصبية :

ـ ولكن الأمر لم يكن كله خطأ أيها المفتش .. ربما كانت فكرة الوباء هذه مجرَّد خدعة ، ولكن المؤكَّد أن ذلك الرجل ليس شخصًا عاديًّا ، ولا حتى تلك الفتاة المرافقة له .. لقد قاتلا بمهارة مدهشة ، وحاربا كشيطانين ، متفوقين على رجالى ، الذين تم تدريبهم على أرفع مستوى قتالى فى البلاد كلها .

استمع إليه المفتش فى اهتمام ، ثم أشار إليه ، قائلاً :

ـ إننى أتفق معك فى هذا .. لقد رأيت بنفسى كيف يعملان ، إلا أن هذا أيضًا لن يغفر لكم أمام المسئولين ..

ثم تراجع فجأة ، متابعًا :

ـ إلا إذا ...

رفع القائد عينيه إليه ، وسأل فى لهفة :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

أجابه المفتش (باندرياس) فى حزم :

ـ إلا إذا نجحتم فى إلقاء القبض على الرجل والفتاة ، وأثبتُّم أنهما ينتميان إلى جهة ما ، وأن محاولة الإيقاع بهما كانت تستحق كل التجاوزات .

تلاشت لهفة القائد ، وتراجعت انفعالاته ، وهو يقول :

ـ وهل يبدو لك هذا سهلاً أو بسيطًا ؟! لقد عثرنا على السيارة ، التى استوليا عليها من المستشفى خالية ، ولم نعثر على أى أثر لهما ، ولقد وزعنا نشرة بأوصاف الرجل ، على كل نقاط الشرطة والمرور ، وفى كل مخارج ومداخل المدينة ، ولم يؤد هذا إلى أى شىء ، حتى هذه اللحظة .

التقى حاجبا المفتش ، فى تفكير عميق ، وهو يقول ، وكأنه يحدِّث نفسه :

ـ هذا أمر طبيعى ، فمن الواضح أنه محترف ، وأمثاله لا يقعون فى خطأ بسيط كهذا .. إنه يعلم أن الجميع سيسعى للبحث عنه حتمًا ، وسيحاول أن يتخذ طريقًا يبعده عن نقاط التفتيش الرسمية .

ثم استدار يتطلَّع إلى خريطة المدينة الكبيرة ، وعلامات التفكير تتسلَّل إلى كل خلجة من خلجاته ،

وكل خلية فى وجهه ، والقائد يراقبه فى اهتمام ، حتى وجده يعتدل بغتة ، ويقول فى حماس :

ـ بالتأكيد .. هذا هو الطريق الوحيد ، الذى يمكنه اجتيازه ، للفرار من (ريو) .

سأله القائد فى لهفة :

ـ ما هو ؟!

أشار المفتش إلى بقعة عند أطراف المدينة ، المتاخمة لمنطقة الجبال والغابات ، وقال فى حزم :

ـ ممر (بليجرو)(*) .

حدّق القائد فى النقطة ، التى أشار إليها المفتش ، لما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، قبل أن يقول فى استنكار :

ـ أتعتقد أنه من الجنون ، بحيث يُقدم على هذا .

هزّ المفتش كتفيه ، وقال :

ـ إننى أتفق معك على أن (بليجرو) منطقة وعرة خطيرة ، وأنه ينتهى بغابات استوائية مخيفة ، يخشىَ الكثيرون مجردَ الاقتراب منها ، إلا أن ذلك الرجل ،

(*) بليجرو : كلمة برتغالية تعنى (الخطر) .

الذى تتفق معى على أنه محترف لا يشقَ له غبار ، سيجدها أفضل نقطة للخروج من المدينة ، والوصول إلى طريق (برازيليا) من الخلف ، لأن أحدًا لن يتخيل لجوءه إليه ، وبالتالى لن يطارده أى شخص عَبْره ، ثم إننى أعتقد أن مهارته ستساعده على عبور تلك المنطقة بشىء من الجهد و ...

قاطعه القائد فى حزم :

ـ ليس هذا ما أقصده أيها المفتش ، فممر (بليجرو) ، والغابات المتاخمة له مناطق مخيفة ، بالنسبة للشخص العادى ، وليس بالنسبة لرجالى ، أو لذلك الرجل وفتاته ، ولكن ما أقصده هو أن عبور ممر (بيليجرو) ، فى هذه الليلة بالذات ، يعدّ بمثابة انتحارٍ ، حتى بالنسبة لشيطان مثله :

تطلّع إليه المفتش فى توتر متسائل ، فالتقط بيان النشرة الجوية ، وناوله إياه ، وهو يقول :

ـ لقد بدأت بالفعل موجة الرياح ، التى حذرونا منها .

طالع المفتش بيان النشرة الجوية فى اهتمام بالغ ،

ثم عاد يلتفت إلى الخريطة ، وإلى منطقة ممر (بليجرو) بالتحديد ، وبدا له أن عبوره فى هذه الليلة مستحيل بالفعل ، مستحيل تمامًا ..

★ ★ ★

« خمس دقائق على الأكثر ، ونصل إلى الممر .. »

نطق (أدهم) العبارة فى هدوء ؛ ليقطع ذلك الصمت ، الذى خيم على السيارة الكبيرة ، طوال ربع الساعة الماضية ، فالتفتت إليه (جيهان) فى بطء ، واعتدلت على مقعدها ، تسأله :

- هل تعتقد أن هذا الممر سيقودنا إلى طريق (برازيليا) ، دون أن يشعر بنا أحد ؟

أجابها فى هدوء :

- ليس أمامنا من سبيل سواه .

قالت فى ضيق :

- إذن فليس أمامنا خيار آخر .

أجاب فى حزم واقتضاب :

- بالضبط .

استعاد البروفيسير وعيه فى هذه اللحظة ، ونهض

جالسًا على المقعد الخلفى ، وهو يمسك رأسه ، متمتمًا :

- آه .. أين أنا ؟! لماذا يصرّ الجميع على إفقادى الوعى طوال الوقت ؟!

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، قائلاً :

- معذرة يا بروفيسير .. أنت اضطرتنى لهذا .

حدّق البروفيسير فيه لحظة بشىء من الدهشة ، ثم لم يلبث أن انفجر هاتفًا :

- أيها الـ ... لماذا فعلت بى هذا ؟! أين زوجتى ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم هذه المرة :

- زوجتك فى خير حال يا بروفيسير ، وستلقى كل العناية هناك ، فى المستشفى ، ولقد بذلنا قصارى جهدنا ، لتنقل القتال خارجها ، رأفة بها وبباقى المرضى .

تلفّت البروفيسير حوله فى توتر ، قبل أن يسأل :

- ولكن لماذا ؟! لماذا اختطفتمانى ؟! وإلى أين تذهبان بى ؟!

أجابته (جيهان) فى عصبية :

- إننا لم نختطفك ، ولكننا نحاول إنقاذك من الاختطاف .

سألها فى حدة :

- ولماذا ؟! بمَ يفيدكما إنقاذى ؟!

قال (أدهم) :

- إنقاذك من الاختطاف يفيد العالم كله يا بروفيسير ، وسنشرح لك الأمر بكل تفاصيله ، عندما نصل إلى سفارتنا فى (برازيليا) .

ارتفع حاجبا البروفيسير فى دهشة ، وهو يقول :

- سفارتكما ؟! أتعنى أنها عملية رسمية ؟!

أجابته (جيهان) فى اقتضاب صارم :

- بالضبط .

أدهشه جوابها ، وأربكه ، وحاول أن يعلّق عليه بكلمة ما ، إلا أن التوتر عقد لسانه ، فاكتفى بالصمت ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يمطّ شفتيه ، ويعقد حاجبيه معترضًا ، والسيارة تواصل طريقها نحو الممر ..

ممر (بليجرو) ..

ممر الخطر ..

* * *

تألّقت عينا الروسى (أندروفيتش) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يتطلّع عبر منظاره الخاص بالرؤية الليلية ، قائلاً :

- ها هو ذا .. لقد وصل بسيارة (لاندروفر) .

سأله أحد الرجال فى حماس :

- هل نستعد للهجوم ؟!

هزّ (أندروفيتش) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يجيب :

- كلاّ .

تبادل رجال السنيورا نظرة دهشة ، قبل أن يسأل آخر فى حذر :

- إلى متى ننتظر إذن أيها القائد ؟! الرياح تزداد قوة فى كل لحظة تمرّ ، والممر لا يبعد كثيرًا عن هنا ، وعندما يبلغانه سيصعب أن نباغتهما أو ...

قاطعه الروسى فى صرامة :

- سندعهما يبلغانه الممر .

تبادل الرجال نظرة أخرى ، فقفزت دهشتهم

فيها إلى ذروتها ، قبل أن يسأله (كوادروس) معترضًا :

ـ لماذا هرعنا إلى هنا إذن ، ما دمنا لا ننوى اعتراضهما ومهاجمتهما ؟

راقب (أندروفيتش) السيارة ، وهى تقترب أكثر وأكثر من الممر ، وقال بلهجة عجيبة :

ـ لنتيقَّن من أنهما سيتخذان الممر مخرجًا .

مطَّ (كوادروس) شفتيه الغليظتين ، وقال :

ـ ثم ماذا .. ما دمنا لن نهاجمهما ؟!

صمت (أندروفيتش) طويلاً ، وكأنه يتجاهل السؤال تمامًا ، وراحت الرياح الشديدة تتلاعب برباط عنقه الفاخر فى قوة ، وهو يتابع اقتراب السيارة من الممر ، عبر منظاره الخاص ، قبل أن يجيب فى برود مخيف :

ـ لا تهاجم الأسد أبدًا فى الصباح الباكر يا رجل ، عندما تكون قوته فى ذروتها .. انتظر حتى الظهر ، وستظفر به ، بعد أن أجهده السعى خلف فرائسه ، وبلغ منه التعب مبلغه ..



حدَّق (كوادروس) فيه بدهشة ، قبل أن يسأل حائرًا :

ـ ماذا تعنى أيها القائد ؟

ابتسم الروسى ابتسامة جافة باردة ، وهو يجيب بتلك اللهجة العجيبة المخيفة :

ـ أعنى أن الرفيق (أدهم صبرى) قد أخطأ اختيار طريقه هذه المرة ، وأن عبوره ممر (بليجرو) ، مع هذه الرياح القوية ، التى لم تشهد البلاد مثلها ، منذ قرن كامل من الزمان ، يعد بمثابة الانتحار ، فإما أن يلقى مصرعه فيه ، أو يستنزف قواه تمامًا لعبوره ، وفى الحالتين ، ستصبح مهمتنا أكثر سهولة ، عند الطرف الآخر للمر ، عندما تهدأ الرياح ، ونلتقى بما تبقَّى منه هناك .

سأله (كوادروس) بدهشة أكبر :

ـ وماذا عن البروفيسير ؟!

التقى حاجبا الروسى فى شدة ، وكأنما لم يفكِّر فى هذا الأمر من قبل ، وألقى نظرة أخيرة على سيارة (أدهم) ، وهى تدلف إلى ممر (بليجرو) ، ثم أجاب فى صرامة :

- العالم به العديدون من مهندسى الطاقة الذرية ..
ولكن لا يوجد سوى (أدهم صبرى) واحد .

كانت إجابته الحازمة هذه تعنى أنه لن يتراجع قط عن خطته ؛ للظفر بـ (أدهم) ..

مهما كان الثمن .

* * *





١٠ - ممر الموت ..

ارتجف جسد خبير الطاقة الذرية (ميخائيل استروتيسكى) على نحو ملحوظ ، وهو يقف أمام السنيورا ، فى حجرة مكتبها الخاصة ، وبدا عليه التوتر الشديد ، مع نظراته الزائغة إليها ، وهى تلتقط أنفاس سيجارتها فى هدوء ، وتنفث دخانها نحوه فى صمت ، وعلى شفتيها شبح ابتسامة هادئة ساخرة ، وكأنها تستمتع برؤية توتره واضطرابه أمامها ، حتى تصبَّب على وجه الرجل عرق بارد ، وتمتم بلهجة من يوشك أن يفقد الوعى :

- لقد .. لقد طلبت مقابلتى يا سنيورا .

رفعت أحد حاجبيها ، وهى تقول فى شىء من الاستنكار ، يمتزج بالكثير من السخرية :

- طلبت ؟! إننى لا أتقدَّم بطلبات هنا يا بروفيسير .. إننى أصدر الأوامر فحسب .

ازدرد (استروتيسكى) لعابه بصعوبة بالغة ، وغمغم متوترًا :

- معذرة يا سنيورا .. هذا ما كنت أقصده بالضبط .. أنك أمرت بحضورى إليك .

ابتسمت فى زهو ، وكأنما راقت لها عبارته ، ثم اعتدلت فى مجلسها ، ونفثت دخان سيجارتها فى وجهه مباشرة ، قبل أن تسأله :

- ما رأيك فيما يحدث هنا ؟

أقلقه السؤال ، وفجَّر فى أعماقه نهرًا من الحذر ، جعله يسأل :

- فى أى شىء يا سنيورا ؟!

أشارت بيدها إشارة عامة وهى تقول :

- فى استعدادات إنتاج القنابل الذرية .

صمت لحظة مبعثها الحذر ، قبل أن يجيب :

- كل شىء على ما يرام ، يمكنك بالتأكيد إنتاج كمية معقولة من القنابل الذرية هنا .

مالت نحوه وسألت فى اهتمام بالغ :

- ما الذى ينقصنا لنفعل ؟!

ارتبك لسؤالها ، وراح يلوِّح بذراعيه ، مجيبًا :

- لا شىء تقريبًا .. لقد راجعت الاستعدادات بنفسى ، و ...

قاطعته فى صرامة :

- وماذا عن طاقم العلماء المطلوبين ؟!

حاول أن يزدرد لعابه فى صعوبة ، وغمغم :

- لا ينقصنا سوى خبير الهندسة النووية ، ولقد أخبرتنا أن ..

قاطعته مرة أخرى فى صرامة :

- من يمكنه أن يحلَّ محلَّ البروفيسير (ماتهايم) ، لو أننا لم ننجح فى إحضاره ؟!

سألها فى شىء من اللهفة :

- وهل فشلتم فى هذا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى شمله اضطراب عنيف ، جعله يهتف مذعورًا :

- معذرة .. لم أقصد هذا .. أقسم لك إننى لم ...

قاطعته بإشارة صارمة من يدها هذه المرة ، وقالت بلهجة مخيفة :

- أجب عن سؤالى !

ارتبك (استروتيسكى) كثيرًا ، وارتجفت أصابعه ، وهو يلوِّح بسبَّابته ، قائلًا :

- هناك عشرات من خبراء الهندسة النووية فى

العالم ، وكلهم بارعون فى هذا المضمار ، ولكن المفاعل النووى المصنوع هنا من طراز قديم ، بسبب طبيعة المكان ، والصخور المحيطة به ، وعدد قليل من الخبراء من يمكنه التعامل معه ، مثل البروفيسير (مانهايم) فى (ألمانيا) ، والدكتور (محمد العفيفى) فى (مصر) ، وربما الدكتور (بيدجر) ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكننى أعتقد أن الأخير يعانى أزمة صحية شديدة ، ولن يمكنه العودة إلى العمل ، قبل ثلاثة أشهر على الأقل .

انعقد حاجباها ، ومطت شفتيها الجميلتين فى غضب ، على نحو جعله يهتف مذعورًا :

- هذا كل ما أعلمه عن الأمر .

هبت من مقعدها بحركة حادة ، جعلته يقفز إلى الخلف ، وقالت فى حدة :

- إذن فلا بديل للبروفيسير (مانهايم) .

أراد أن يسألها : وماذا عن الدكتور (محمد العفيفى) ؟! إلا أنه لم يشأ دس أنفه فيما لا يعنيه ، مع امرأة مثلها بالذات ؛ لذا فقد اكتفى بمراقبتها ، وهى تدور فى الحجرة ، وتنفث دخان سيجارتها



كقاطرة غاضبة ، قبل أن تتوقف بغتة ، ويزداد انعقاد حاجبيها فى شدة ، ثم تلتفت إليه ، وتسأله :

- وماذا لو لم نحضر خبيرًا فى الهندسة النووية ؟! ألا يمكنك مع (جولهى) و (دى مال) إتمام الأمر؟!

تردد لحظة ، ثم غمغم :

- لن يكون ذلك سهلاً ، و ...

سألته فى غضب :

- سألتك : ألا يمكنكم هذا ؟!

تراجع مرة أخرى ، وهو يجيب فى سرعة :

- معذرة يا سنيورا ، ولكننى أخشى أنه لن يمكننا هذا وحدنا .

خيل إليه أن غضبها قد تضاعف ألف مرة ، عند سماعها لجوابه ، فتراجع فى خوف ، ولوح بذراعه ، متابعًا :

- ويمكنك استشارة الآخرين ، و ..

قاطعته فى صرامة ثائرة :

- انصرف .

أسرع خبير الطاقة الذرية يعدو مغادرًا الحجرة ، وقلبه ينبض بقوة وعنف ، فى حين التقطت هى نفسًا

أخيرًا من سيجارتها ، وهى تتجه إلى الشرفة ، مطلقة الدخان من صدرها كبركان غاضب ، يوشك على الثورة ، وأمسكت حاجز الشرفة بأصابعها فى قوة ، وشعرها الأشقر يتطاير بفعل الرياح ، وأعماقها تغلى ، وكأن الدماء تفور فى عروقها ، ليحتقن بها وجهها ، وهى تتمتم :

- يبدو أنه لا مفر من ذلك القدر ، الذى يجمعنا معًا فى كل مرة يا (أدهم) .. ومن الواضح أن العالم لن يحتمل كلينا فى زمن واحد .. فإما أن تغادر هذه الدنيا ، أو أغادرها أنا .

ثم ألقت سيجارتها فى الهواء ، متابعة فى حزم صارم :

- وأنا لست مستعدة بعد لمغادرتها .. ليس قبل أن أبلغ الهدف هذه المرة .. ليس قبل هذا بلحظة واحدة .

نطقتها والرياح تضرب وجهها بعنف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

خيم ظلام دامس على تلك البقعة غير السكنية ، على مشارف العاصمة (واشنطن) ، وساد فيها سكون وصمت مطبقين ، جعلاها أشبه بمقابر قديمة ، لولا ذلك الضوء ، الذى بدا من بعيد ، وراح يقترب رويدًا رويدًا ، حتى اتضح شكله كمصباحى سيارة ، تتجه إلى المكان فى حذر واضح ، بدليل أنها لم تكد تتوقف فى مكان محدود ، حتى أطفأت مصباحيها ؛ ليسود الظلام ثانية ، وغادرها رجل واحد ، يحمل حقيبة دبلوماسية متوسطة الحجم ، تلفت حوله فى توتر ، قبل أن يطلق صفيرًا قصيرًا ، ويغمغم :

- أين هما ؟! المفترض أن أجدهما فور وصولى .

تلفت حوله مرة أخرى ، محاولاً اختراق الظلام ببصره ، وتضاعف توتره وقلقه ، مع مرور دقائق ثلاث ، من الصمت والسكون ، ثم انبعث فجأة صفير قصير ، من مكان ما ، على نحو مباغت ، جعله يقفز من مكانه ، وينتفض فى قوة ، ثم يتمتم فى عصبية شديدة :

- أخيرًا .

ثم التفت إلى مصدر الصفير ، مستطردًا فى حدة :

- أين أنتما ؟! إننى أنتظركما منذ زمن طويل .

انطلقت من أحدهما ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- زمن طويل ؟! إنك تنتظر منذ أقل من خمس دقائق يا كولونيل .

خُيِّل إليه أن الرجلين قد برزا أمامه بغتة ، من قلب الظلام ، عندما أضاء أحدهما مصباحًا باهتًا ، وقال :

- معذرة يا كولونيل .. إنها دواعى الأمن والحذر .

قال الكولونيل (ألكسندر) فى عصبية :

- هذا أكثر ما يحنقنى فى التعامل معكما ! إنكما تبالغان فى كل شىء .

أجابه أحدهما فى حزم :

- لهذا لم نقع فى قبضة السلطات قط ، طوال عشرة أعوام فى صفقات تصنيع وبيع الأسلحة الخاصة ، على الرغم من الجهود المضنية للشرطة الفيدرالية ، للإيقاع بنا ، وكشف أمرنا .

تلفت (ألكسندر) خلفه فى عصبية ، وهو يقول :

- فليكن يا (سواتر) .. فليكن .. لن نضيع الوقت فى مناقشات عقيمة كهذه .

ثم وضع الحقيبة التى يحملها على مقدِّمة سيارته ، وفتحها قائلاً :

- عندى لكما تصميمات سلاح جديد ، من النوع الخاص ، السرى للغاية ، وأريد نسخة متقنة خالية من العيوب ، بعد ثلاثة أيام فقط .

هزَّ الثانى كتفيه ، قائلاً فى استهتار :

- لا بأس ، ما دمنا سنتقاضى المقابل الـ ...

قاطعه زميله فى صرامة :

- مهلاً يا (كاندى) .. لا تمنح وعودًا ، قبل معرفة طبيعة ما تعد به .

ومدَّ يده إلى الكولونيل (ألكسندر) ، مستطردًا :

- أعطنى التصميمات .

ناوله الكولونيل التصميمات ، ففردها أمامه ، وأمسك مصباحه اليدوى بأسنانه ، وألقى ضوءه على الأوراق ، وراح يطالعها فى اهتمام بالغ ، ثم رفع عينيه إلى الكولونيل (ألكسندر) ، قائلاً :

- إنه مشروع (السوبرمان) .

بُهِتَ الكولونيل لقوله ، وهتف فى دهشة :

- وكيف عرفت هذا ؟!

ابتسم (سواتر) فى سخرية ، وقال :

- نحن أيضًا لنا مصادرنا يا كولونيل .

انعقد حاجبا الكولونيل بشدة ، وهو يقول :

- فليكن يا (سواتر) .. هل يمكنك إنجازه خلال تلك الأيام الثلاثة ؟!

صمت (سواتر) طويلاً ، وهو يحكّ ذقنه بسبّابته وإبهامه ، ثم غمغم ، وكأنه يتحدث إلى نفسه :

- مشروع (السوبرمان) سلاح بالغ الخطورة ، ويحتاج إلى تقنية متطورة ، وتكاليف باهظة ، وخطوط إنتاج ضخمة ، وهذا كله يعنى ..

قاطعه الكولونيل فى صرامة :

- مليونى دولار .

التفت إليه (سواتر) فى دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة ساخرة مجلجلة ، احتقن لها وجه الكولونيل ، و(سواتر) يقول ساخرًا :

- مليونى دولار دفعة واحدة ؟! يا إلهى! أمن المفترض أن يبهرنى هذا الرقم ، فأطلق شهقة قوية ، وأضع يدى على صدرى ، ثم أسقط فاقد الوعى ، كما كان يحدث فى الأفلام الهزلية القديمة ؟!

وقهقه ضاحكًا مرة أخرى ، قبل أن يميل نحو الكولونيل ، وتتلاشى سخريته دفعة واحدة ، وتحلّ

محلها نظرة قاسية صارمة ، وهو يقول :

- إنتاج سلاح كهذا ، بصفة غير قانونية ، يتكلّف سبعة ملايين دولار على الأقل يا كولونيل .

مطّ الكولونيل (ألكسندر) شفتيه ، وقال فى حدة :

- سبعة ملاين ؟! مستحيل ! إنك تغالى كثيرًا هذه المرة يا (سواتر) .

تراجع (سواتر) ، قائلاً فى حزم :

هذا آخر ما لدى يا كولونيل ..

بدا التوتر على وجه الكولونيل ، فى حين غمغم (كاندى) فى قلق :

- (سواتر) .. الكولونيل (ألكسندر) زبون قديم ، ولا بأس من أن ...

قاطعه (سواتر) فى صرامة مخيفة :

- اصمت يا رجل .. لا تنس أننى المسئول الأوّل والوحيد عن التفاوضات المالية .

تراجع (كاندى) ، متمتمًا :

- معذرة يا (سواتر) .. معذرة .

أما الكولونيل ، فقال فى حدة :

- لن ندفع أكثر من خمسة ملايين يا رجل .

أجابه (سواتر) فى صرامة :

ـ سبعة يا كولونيل .. لا مجال للمفاوضات أو المساومات .

أطلَّ الغضب من ملامح الكولونيل ، وتصاعدت موجة عنيفة من الحنق والسخط فى أعماقه ، لأن المبلغ الذى يطلبه صانع الأسلحة سيلتهم الجزء الأكبر من عمولته ، إلا أنه لم يجد بدًا من الموافقة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ فليكن يا (سواتر) ، ولكن المبلغ سيتم تسليمه لك فى (أمريكا الجنوبية) ، بعد ثلاثة أيام من الآن ، عندما تقوم بتسليم مشروع (السوبرمان) .

قال (سواتر) فى صرامة :

ـ النصف الآن ، والنصف عند التسليم يا (كولونيل) .

صمت الكولونيل بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم واقتضاب :

ـ اتفقنا ..

وفى قوة وحزم ، تصافح الرجلان ، وسط الظلام المخيِّم على المنطقة .

وكان تصافحهما هذا إيذانًا بمولد خط القتال الثالث ،

الموجَّه ضد (أدهم صبرى) ..

هذا لو تجاوز ممر الموت ، وظلَّ على قيد الحياة ..

لو !...

* * *

أطَل قلق عنيف ، من كل خلجة من خلجات البروفيسير (مانهايم) ، وهو يتطلَّع إلى زجاج السيارة المجاور له ، والذى ترتطم به ذرات الرمال فى عنف شديد ، فى أثناء عبور السيارة لممر (بليجرو) ، ثم قال فى توتر شديد :

ـ الرياح عنيفة أكثر مما ينبغى الليلة ! أخشى أننا نواجه عاصفة ما .

وافقته (جيهان) بإيماءة من رأسها ، وقلبها يخفق فى عنف ، مع ملاحظتها للرمال الكثيفة ، التى تتطاير فى الهواء ، وتكاد تحجب الرؤية تقريبًا أمام السيارة ، التى انخفضت سرعتها على نحو ملحوظ ، جعل (أدهم) يقول :

ـ هذا صحيح يا بروفيسير .. السيارة تلقى مقاومة عنيفة من الهواء ، على نحو لم أشهده من قبل ..

من الواضح أنها عاصفة عاتية ، أو نوبة رياح قوية للغاية .

راقب البروفيسير ذرات الرمال المرتطمة بالزجاج ثانية ، وغمغم :

ـ إن سرعتها تبلغ أربعمائة كيلومتر فى الساعة تقريبًا ، ومن الواضح أنها تتزايد بسرعة .

تنهدت (جيهان) فى توتر ، قائلة :

ـ كان ينبغى أن نستمع إلى النشرة الجوية ، قبل أن نغامر بعبور هذا الممر المخيف .

قالتها ، وعيناها تجاهدان لاختراق سحب الرمال ، والتطلع إلى جدران النفق الصخرية ، التى بدت لها فى تلك اللحظة أشبه بعمالقة رهيبة ، تتربص بالسيارة ، وتتحفز للانقضاض عليها ، عند أول فرصة ..

كان الممر ، الذى يعرفه السكان الوطنيون باسم (كوهيدور بليجرو) ، يثير فى نفسها الخوف والقلق ، منذ ولجته السيارة ؛ فهو ضيق نسبيًا ، يبلغ اتساعه عشرة أمتار فحسب ، حفرته الطبيعة فى قلب الجبل ، وأرضيته وعرة للغاية ، تتناثر فيها قطع

مختلفة الأحجام من الصخور والأحجار ، على نحو يجعل عبوره شاقًا للغاية ، فى الظروف المناخية الطبيعية ..

فما بالك بعبوره وسط رياح عاصفة ، لم تشهد البلاد مثلها ، منذ قرن مضى ؟!

أما (أدهم) ، فقد تصاعدت فى أعماقه غريزة الشعور بالخطر ، حتى بلغت حدها الأقصى هذه المرة ..

لقد وقع اختياره على الممر ، وهو يدرك صعوبة عبوره ، مع المعلومات التى درسها عنه فيما سبق ، والتى تؤكد أن سرعة الرياح فيه لا تتجاوز ثلاثمائة كيلومتر فى الساعة ، فى الظروف المناخية السيئة ..

فما الذى يحدث هذه الليلة ؟!

لماذا يبدو له الممر ، الذى يبلغ طوله ثلاثين كيلومترًا فحسب ، وكأنه قد تحول إلى قطعة من الجحيم ، تتصارع فيها شياطين الغضب ؟!

البروفيسير يؤكد أن سرعة الرياح تبلغ أربعمائة كيلومتر فى المتوسط ، وأنها فى تزايد مستمر ، وسحب الرمال المتطايرة أمامه ، والتى تعوق الرؤية ، وتحدها فى مسافة لا تتجاوز المتر ، مع المقاومة



لقد وقع اختياره على الممر ، وهو يدرك صعوبة عبوره ، مع المعلومات التى درسها عنه فيما سبق ..

الشديدة التى تلاقيها السيارة ، تؤكد أن الموقف يتدهور أكثر وأكثر ، مع مرور الوقت ..

وفى قلق واهتمام ، أدار مؤشر جهاز الراديو ، ليستمع إلى النشرة الجوية ..

وخفق قلب (جيهان) مرة أخرى فى عنف ..

مذيع النشرة الجوية يؤكد أن الرياح القادمة ستتجاوز سرعتها ثمانمائة كيلومتر فى الساعة ، وأنها أعنف رياح عاصفة شهدتها البلاد ، منذ أكثر من قرن كامل ، ويتحدث عن التحذيرات التى أصدرتها الحكومة للسكان ..

وفى ارتياع ، هتفت (جيهان) :

ـ رباه ! هل سمعت هذا يا (أدهم) ؟! إننا نواجه رياحًا عاصفة رهيبة .. لن يمكننا عبورهذا الممرأبدًا .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يعيد دراسة الموقف ، على ضوء المعلومات الجديدة ، فى حين ارتجفت الكلمات على لسان البروفيسير ، وهو يسأل (جيهان) :

ـ ماذا حدث ؟! لماذا يبدو عليكما القلق الزائد ، بعد سماعكما تلك النشرة الإخبارية البرتغالية ؟!

ترجمت له (جيهان) ما قاله مذيع النشرة الجوية إلى الألمانية ، فانكمش فى مقعده فى ارتياع ، واتسعت عيناه عن آخرهما على نحو عجيب ، وهو يردد .

- يا إلهى ! ثمانمائة كيلومتر فى الساعة ! يا إلهى ! لابد وأن نغادر هذا الممر .. لابد وأن نغادره قبل فوات الأوان .

سألته مذعورة :

- هل تعتقد أن السيارة لن تحتمل رياحًا سرعتها ثمانمائة كيلومتر فى الساعة ؟!

امتقع وجه البروفيسير فى شدة ، وهو يزداد انكماشًا فى مقعده ، قائلاً :

- ثمانمائة كيلومتر فى الساعة ؟! هراء يا سيدتى .. ربما كانت هذه سرعتها القصوى فى الأماكن المفتوحة وداخل المدن ، أما فى ممر كهذا ، فستزيد سرعتها من ألف ومائتى كيلومتر فى الساعة على الأقل .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) فى شدة ، فى حين شهقت (جيهان) ، هاتفة :

- يا إلهى !.. إلى هذا الحد ؟!

وسأله (أدهم) فى توتر :

- ومتى ستبلغ الرياح ذروتها فى رأيك يا بروفيسير ؟!

أجابه البروفيسير بصوت أقرب إلى الانهيار :

- بأسرع مما تتصور يا رجل .. لقد كانت مجرد رياح هادئة ، عندما دخلنا الممر ، وها هى ذى تبلغ ما يزيد على أربعمائة كيلومتر فى الساعة ، قبل أن نقطع نصفه ، ومع تصاعدها المستمر السريع ، ستبلغ ذروتها ، قبل أن نصل إلى الثلث الأخير منه .

لهثت (جيهان) من فرط الانفعال ، وهى تردد :

- يا إلهى !.. يا إلهى !..

أما (أدهم) ، فقد أدار عجلة القيادة فى حزم ، وهو يقول :

- فى هذه الحالة ، ليس أمامنا سوى أمل واحد يا بروفيسير ..

دارت السيارة حول نفسها ، على الأرض الوعرة ، وانطلق بها (أدهم) فى الاتجاه المضاد ، وهو يضيف :

- أن نعود من حيث أتينا .. وبأقصى سرعة .

كان وجه البروفيسير شاحبًا كالموتى ، وهو يقول بصوت شديد الخفوت :

ـ قرار حكيم يا ولدى .. حكيم بالفعل ؛ فالمسافة التى قطعناها تقل بكثير عن المسافة المتبقية ، ثم إن الرياح ستساعد فى دفعنا إلى الأمام ، فى هذا الاتجاه ، بدلاً من أن تمثّل مقاومة عنيفة لنا ، فى الاتجاه الآخر .

لم يعلّق (أدهم) على العبارة ، وهو يبذل قصارى جهده للسيطرة على السيارة ، التى لم تعد تصمد ، على الرغم من قوتها ، أمام الرياح العنيفة ، التى بلغت سرعتها ما يقرب من ستمائة كيلومتر فى الساعة ، وراحت تهتزّ على نحو مخيف ..

وفى أعماقه ، شعر (أدهم) ، وربما لأوّل مرة فى حياته ، بقلق لا محدود ، يسيطر على كيانه كله ، ويجرى فى عروقه مجرى الدم ..

صحيح أنه واجه فى حياته مواقف شديدة الدقة والصعوبة ، وتصدّى لأعتى منظمات الجريمة ، وأخطر أجهزة المخابرات فى العالم أجمع ..

ألا أن خصمه اليوم يفوق كل هؤلاء مجتمعين ..

إنه الطبيعة ..

الطبيعة التى صنعها الخالق (عزّ وجلّ) ، والتى لم تصمد أمامها أقوى الحضارات وأعظم الأمم ..

الطبيعة التى لم يتصدَ لها الإنسان يومًا إلا هزمته ..
ودحرته دحرًا ..

الطبيعة التى تحاصره من كل جانب ، والمتمثلة فى الجدران الصخرية القوية العالية ، والرياح العنيفة ، والطريق الوعر ..

وفى توتر بالغ ، قالت (جيهان) :

ـ حاول أن تزيد من سرعتك يا (أدهم) .. قوة الرياح تتزايد بسرعة مخيفة ، وأخشى أن ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، ارتفع فجأة دوى رهيب ، جعلها تنتفض هاتفة :

ـ رباه ! ما هذا بالضبط ؟

أما (أدهم) ، فقد قفز قلبه بين ضلوعه ، عندما التقطت مسامعه هذا الدوى ، الذى أدرك طبيعته على الفور ..

إنه ضربة جديدة من ضربات الطبيعة القاسية ..

انهيار ..

انهيار صخرى عنيف ..

فوق رءوسهم تمامًا ..

★ ★ ★

« لا فائدة .. »

نطق رجل الشرطة البرازيلى بالكلمة فى ضيق واضح ، جعل المفتش (باندرياس) يمطّ شفتيه ، ويغمغم محنقًا :

- هل بذلتم قصارى جهدكم ؟!

أجابه رجل الشرطة :

- بالتأكيد يا سيِّدى المفتش .. لقد فتشنا المنطقة كلها ، وأرسلنا أربعًا من سيارات الشرطة إلى (كوهيدور بليجرو) ، ولكن الرياح الشديدة أجبرتها على العودة ، ومنعتها من مواصلة البحث ..

صمت (باندرياس) طويلاً ، ثم قال :

- إذن ، فلن يمكننا معرفة ما إذا كان الرجل والفتاة قد اتجها إلى الممر أم لا !

هزّ ضابط الشرطة رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- ليس فى الوقت الحالى يا سيِّدى المفتش .

زفر (باندرياس) فى حرارة ، قبل أن يقول :

- اللعنة !.. ألم تجد تلك الرياح العاصفة وقتًا أفضل ؟!

هزّ ضابط الشرطة كتفيه ، ثم قال فى اهتمام قلق :

- بمناسبة الحديث عن الرياح .. أقترح إعادة كل الدوريات إلى هنا ، فالعاصفة تزداد عنفًا ، ولن تمضى نصف الساعة ، حتى يصبح السير فى الطرقات مستحيلاً .

أومأ (باندرياس) برأسه إيجابًا ، وقال :

- أنت على حق .. أصدر أمرًا بعودة الجميع إلى هنا .. لا إجازات أو اعتذارات .. أريد الفريق كله على أهبة الاستعداد .

غمغم ضابط الشرطة ، قبل أن يسرع لتنفيذ الأمر :

- بالتأكيد يا سيِّدى المفتش .. بالتأكيد .

بقى المفتش (باندرياس) وحده فى حجرته ، يتطلّع عبر النافذة إلى الأشجار المواجهة لمبنى الشرطة ، والتى راحت أغصانها وفروعها تتراقص فى عنف ، مع الرياح الشديدة ، وغمغم فى خفوت شديد :

- حتى الأشجار القوية تنحنى للعواصف .

لم يكن يشعر فى أعماقه بالارتياح ، تجاه هذا الموقف ، منذ بدايته ..

خبراته البوليسية أنبأته أن وراء الأكمة ما وراءها ،

وأن الأمور ليست أبدًا كما تبدو عليه ..

الشهود جميعهم أكدوا أن مرتكبى حادث الاختطاف رجلان غليظان ، وليسا رجلا وسيمًا وفتاة باهرة الحسن ..

وقصة الفيروس الخطير ، والاستعانة بقوات مكافحة الإرهاب هذه ليست مقنعة على الإطلاق . بالنسبة لشرطى محنك مثله ..

هناك شىء ما يدور خلف ظهورهم ، ولا يمكنهم رؤيته فى وضوح ..

شىء لا يقف عند اختطاف سائح ألمانى عادى ..

بل يتجاوز كل هذا بكثير ..

بكثير جدًا ..

شىء ربما يتعلق بأمن الدولة ..

أو بما هو أكثر خطورة ..

شرد بصره طويلاً ، وامتد إلى ما لا نهاية ، وكأنه لم يعد يرى العاصفة ، أو يشعر بوجودها ، وعقله يسبح فى الأمر ، ويجوس فيه طويلاً ، ثم لم يلبث أن غمغم فى صرامة :

ـ هناك شىء ما حتمًا .

ثم ترك مكانه أمام النافذة ، وجلس أمام الكمبيوتر ، يراجع كل ما تمّ تسجيله للحادث منذ البداية ..

كل شىء ..

كل التفاصيل ..

ومع كل خطوة يقطعها ، كانت أشياء جديدة تتضح له ، وتثير فى عقله عشرات التساؤلات الجديدة ..

ومع كل تساؤل ، كانت حيرته تتضاعف ، وقلقه ينمو ..

وينمو ..

وينمو ..

★ ★ ★

انتبه (أدهم) إلى طبيعة الدوىّ العنيف فى اللحظة المناسبة ..

أو بعدها بجزء يسير من الثانية ..

وكعادته ، وعلى الرغم من الآلام المبرحة ، المتصاعدة من إصاباته المختلفة ، والدماء التى تنزف بغزارة من جرح فخذه ، انطلق عقله يعمل بسرعة الصاروخ ، ليدرس الموقف كله ، ويتخذ بشأنه قرارًا حاسمًا ، تحوّله سرعة استجابته إلى مرحلة التنفيذ ، فى جزء من الثانية ..

وفى نفس اللحظة ، التى أدرك فيها طبيعة الدوى ، ضغط فرامل السيارة بكل قوته ، وأمسك عجلة قيادتها بقبضتيه الفولاذيتين ، للتحكم فى مسارها ، مع ذلك الإجراء المباغت ، ثم دفع ذراع السرعة إلى الوضع الخلفى ، وعاد يضغط دواسة الوقود ، ويفلت الكابح ، لتنطلق السيارة إلى الخلف ..

ولكن محرك السيارة ومعداتها ، لم تكن تتمتع بسرعة الاستجابة المدهشة ، التى وهبها الله (سبحانه وتعالى) لـ (أدهم) ..

لذا فقد استغرقت ثانية كاملة ، لتبدأ حركتها إلى الخلف ..

وكانت هذه الثانية أكثر مما ينبغى ..

لقد هوت الصخور الضخمة ، من مختلف الأحجام ، داخل ممر الخطر ، وصرخت (جيهان) فى رعب ، عندما رأت تلك الجلاميد الهائلة تضرب الأرض ، على مسافة أمتار قليلة من السيارة ، ثم تتدحرج نحوها فى مشهد رهيب ..

أما البروفيسير (مانهايم) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وكاد قلبه يتوقف من الفزع والذعر ، فألقى

نفسه فى أرضية السيارة ، وهو يحمى رأسه بذراعيه ويصرخ :

- لا .. لا أريد أن أموت .. لا أريد أن أموت ..

(أدهم) وحده ظلَّ مسيطرًا على أعصابه ، وهو يتراجع بالسيارة فى سرعة ، وعيناه لا تفارقان الصخور المتساقطة أمامه ، وغريزته تخترق سحب الرمال العنيفة من خلفه ، فى محاولة للخروج من هذا الموقف الدقيق ..

ولكن فجأة ، هوت صخرة ضخمة ، إلى يمين السيارة ، ثم اندفعت نحوها بشكل مخيف ..

وصرخت (جيهان) :

- احترس يا (أدهم) .

أدار (أدهم) عجلة القيادة إلى اليسار فى سرعة ، ودار بالسيارة حول نفسها فى مناورة حادة قوية ..

إلا أن الصخرة كانت تتدحرج بسرعة مخيفة ..

والنفق ليس بالاتساع الكافى ..

والرياح القوية تعوق سرعته الدوران .

و ...

ولم يكن هناك مفرَّ من الارتطام ..

وبعنف مخيف ، اصطدمت الصخرة بالجانب الأيمن للسيارة ، فقفزت (جيهان) من مقعدها إلى المقعد الخلفى ، والسيارة تندفع نحو جدار الممر ، والبروفيسير يطلق شهقات عنيفة مذعورة ، و(أدهم) يبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على الموقف ..

ولكن هيهات ..

لا أحد يتصدى للطبيعة ..

لا أحد ينتصر عليها ..

لا أحد ...

لقد ارتطمت السيارة بجدار الممر ، وتحطم جزء كبير من مقدمتها ، وكادت تنسحق ، بينه وبين الصخرة الضخمة ، لولا رحمة اللّه (سبحانه وتعالى) ، التى جعلت (أدهم) يعيد عصا السرعة إلى وضع الانطلاق الأمامى ، ويضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ، لتثب السيارة إلى الأمام ، وتتجاوز الصخرة ، التى ارتطمت بجدار الممر ، ليرتجَّ المكان كله فى عنف ، فى نفس اللحظة التى عادت فيها السيارة إلى الأرض ، وارتطمت بها فى عنف ، ثم انزلقت على الصخور المتناثرة ، وفقدت توازنها ..

وانقلبت ..

انقلبت دفعة واحدة ، فى مشهد مخيف ، وارتطم جانبها الأيسر بالأرض ، وواصلت اندفاعها على جانبها ، لتصطدم بالجدار ، وتتوقَّف ، ويواصل إطاراها العلويان دورانيهما فى الهواء ..

ولثوان ، بدا وكأن ركابها الثلاثة قد لقوا مصرعهم ، وانتهى أمرهم داخلها ..

ثم ارتفع صوت منها ..

صوت البروفيسير (مارك مانهايم) ، وهو يتأوّه فى قوة ، هاتفًا فى ألم :

ـ آه .. أما .. أمازلنا على قيد الحياة ؟!

سمع إلى جواره صوت (جيهان) ، وهى تجاهد للنهوض ، قائلة :

ـ يبدو هذا يا بروفيسير .. الموت لم يظفر بنا هذه المرة .

سألها مذعورًا :

ـ وماذا عن زميلك ؟!

أفزعها سؤاله ، فهتفت :

ـ (أدهم) .. ألنت بخير ؟!

أتاها صوته مجهدًا للغاية ، وهو يجيب :

ـ حمدًا لله .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تحدق فيه على الضوء الخافت ، المنبعث من مصابيح السيارة المحتضرة ..

كان من الواضح أنه قد تلقى النصيب الأكبر من الصدمة ، فقد سالت الدماء من جرح فى جبهته ، على جانب وجهه ، وتمزق قميصه ، وظهرت فيه بقعة من الدم ، فى موقع إصابة صدره السابقة(*)، فى حين عاد جرح فخذه ينزف بشدة ، وأطل تعب وإجهاد الدنيا كلها من عينيه وابتسامته الشاحبة ، التى لم تفارق شفتيه ، وسط هذا الموقف الرهيب ..

وبكل ذعرها ولوعتها ، هتفت (جيهان) :

ـ رباه ! (أدهم) .. إنك تحتاج إلى إسعاف عاجل .

غمغم بشىء من السخرية :

ـ إسعاف عاجل ؟! هنا ؟!

هتف البروفيسير بذعر الدنيا كلها :

(*) راجع قصة (معبد الجريمة) .. المغامرة رقم (١١١) .

ـ لقد ضعنا .. انتهى أمرنا .. الرياح تتزايد سرعتها على نحو مخيف ، والممر أصبح مغلقًا خلفنا ، والسيارة تحطمت .. ستلتهمنا الطبيعة بلا رحمة .. لقد انتهى أمرنا .. انتهى أمرنا تمامًا .

قال (أدهم) فى صرامة ، على الرغم من آلامه وإجهاده :

ـ لا تستسلم للهزيمة بهذه السرعة يا بروفيسير .. لابد وأن يكون لديك إيمان بالخالق (عز وجل) ، وألا تفقد الأمل قط فى رحمته وعنايته .

حدق البروفيسير فى وجهه بدهشة ، وكأنه لم يفهم حرفًا مما قاله ، ثم لم يلبث أن هتف فى عصبية زائدة :

ـ أنا رجل علمى ، وكل ما حولنا يشير إلى أننا هالكون حتمًا .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ هذا لأنك تعتمد فى حساباتك واستنتاجاتك على القواعد والعوامل المادية فحسب ، وتهمل أكثر العوامل أهمية .

سأله البروفيسير فى عصبية :

- وما هو ؟!

أشار (أدهم) بسبابته إلى أعلى ، مجيبًا :

- مشيئة الله (سبحانه وتعالى) .

حدق البروفيسير فى وجهه مرة أخرى بدهشة بالغة ، ثم سأله فى توتر :

- وكيف ستحمينا هذه المشيئة ، من عاصفة عاتية كهذه ؟

قالت (جيهان) فى غضب :

- لا تكفر يا رجل .

أما (أدهم) ، فأجابه فى حسم واثق :

- السيارة لم تتحطم كلها على الأقل ، وما زال زجاجها صامدًا أمام الرياح ، وإلا لاخترقت ذرات الرمال عيوننا وأجسادنا ، وقتلتنا بلا رحمة .

قال البروفيسير فى حنق :

- إلى متى ستواصل صمودها هذا ؟! إن سرعة الرياح تبلغ ما يقرب من تسعمائة كيلومتر فى الساعة الآن ، داخل الممر، ولا يمكنك أن تضمن عدم حدوث انهيارات أخرى ، تسحقنا تحت أطنان جديدة من الصخور ، ثم أن الرمال ستتراكم حول السيارة فى

سرعة ، ولو استمرت تلك العاصفة حتى الصباح ، سندفن تحت جبل من الرمال حتمًا .

ارتجفت (جيهان) ، قائلة :

- رباه ! أهذا صحيح يا (أدهم) ؟!

كان (أدهم) يقاوم فى استماتة غيبوبة عنيدة ، تحيط بذهنه ، وتجاهد لإلقائه فى أعماقها ، ولكنه تماسك بإرادة فولاذية ، وهو يجيب :

- إنها الطبيعة يا عزيزتى .. الطبيعة .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وبدا لها صفير الرياح أشبه بنفير يطلقه الموت نفسه ، استعدادًا للظفر بأرواحهم ، فانكمشت فى مقعدها مذعورة ، وراحت تتلفت حولها فى خوف ، فى حين أخذ البروفيسير يصرخ فى عصبية مذعورة :

- أنتما المسئولان عن كل هذا .. أنتما أحضرتمانى إلى هنا .. أنتما اختطفتمانى من المستشفى .

رمقه (أدهم) بنظرة جانبية مجهدة ، وهو يقول :

- إذن فنحن فريق الأشرار فى رأيك يا بروفيسير .

صاح به البروفيسير :

ـ بالتأكيد .. أنتما المسئولان عن كل ما سيصيبنى من أضرار ، والـ ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذعر ، عندما فوجئ بـ(أدهم) ينتزع مسدسه ، ويصوبه إليه ، وهتف :

ـ ما .. ماذا ستفعل ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ لو كنا الفريق الشرير ، لكانت لدينا وسيلة أكثر بساطة ، وأقل جهدًا ومسئولية ؛ لمنع تلك المنظمة ، التى تسعى لصنع القنابل الذرية ، من الظفر بك يا رجل .

وألصق فوهة المسدس الباردة بصدغه ، متابعًا :

ـ رصاصة واحدة ، تنسف مخك العبقرى هذا .

امتقع وجه البروفيسير ، وشحب فى شدة ، وهو يغمغم مذعورًا :

ـ من الواضح أننى أخطأت .. أنتما الجانب الحسن بالتأكيد .. لم يعد عندى أدنى شك فى هذا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وتمتم ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى صدرت قرقعة مكتومة ، فانتفضت (جيهان) فى مقعدها ، هاتفة فى ارتياع :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

التقى حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يلتفت إلى مقدمة السيارة ، دون أن يجيب ، فى حين أطلق البروفيسير شهقة ارتياع ، وانكمش فى مقعده بشدة ، وكأنما يريد أن يغوص فيه ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! الزجاج .

انطلقت تلك القرقعة مرة أخرى ، فدفع (أدهم) جسده إلى الأمام ، وضغط زجاج السيارة بكفيه ، محاولاً منعه من الانهيار ، إلا أن شقوقًا قوية طويلة ، سرت فيه فجأة ، فى كل الزوايا والاتجاهات ، فصرخ البروفيسير :

ـ لا .. الزجاج سينهار .

ومع آخر حروف كلماته ، تحطم زجاج السيارة الأمامى كله دفعة واحدة ، واندفعت رياح قوية مخيفة

داخل السيارة ، مع فيض من الرمال الدقيقة الحادة .. رياح رهيبة ، لايمكن أن يصمد أمامها كائن حى .. أى كائن حى .

★ ★ ★

[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى

(ممر الجحيم)



رياح الخطر

• ماسر سلسلة الاختطافات المتتالية ، لعلماء الطاقة الذرية ، من مختلف بلدان العالم ؟!..

• هل تعود السنيورا للظهور ، ويشتعل القتال مرة أخرى ، بينها وبين (أدهم) ؟!..

• ترى كيف يكون الصراع هذه المرة ؟.. هل ينتصر (أدهم) و (چيهان) ، أم تبتلعهما (رياح الخطر) ؟!..

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : ممر الجحيم



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

113

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم